دكتور أيمن أبو الروس

الجريمة الدبلوماسية

كشف جريء ومثير عن الحصانة
وجرائم بعض الدبلوماسيين

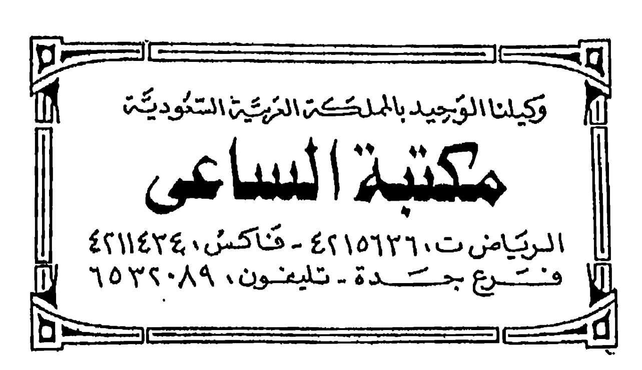
اغتصاب - سرقة - تهريب
قتل - جاسوسية - مخدرات

دكتور أيمن أبو الروس

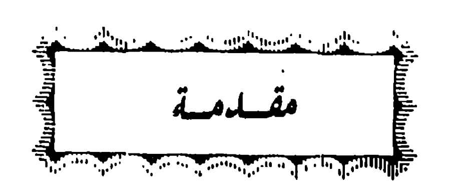
الجريمة الدبلوماسية

كشف جريء ومثير عن الحصانة
وجرائم بعض الدبلوماسيين

اغتصاب - سرقة - تهريب
قتل - جاسوسية - مخدرات




بسم الله الرحمن الرحیم



◀ الحصانة الدبلوماسية :

فى السنوات الأخيرة ، ظهر اهتمام دولى من بعض الكتّاب والصحفيين بإلقاء الضوء على موضوع الحصانة الدبلوماسية ، بعد أن ظهر استغلال الحصانة بوضوح فى عدد من الجرائم التى قام بها بعض الدبلوماسيين من مختلف دول العالم ، فوضعوا ، بهذه الجرائم ، نقطة سوداء فى سجل هذا العمل النبيل والرسالة الهامة التى يقوم بها السادة الدبلوماسيون .

وللأسف أيضاً ، أن معظم هذه الجرائم لم يُدن فيها الدبلوماسيون ، أنفسهم ، وإنما تمت عن طريق من يتمتعون بالحصانة من خلالهم ، كسائقى الدبلوماسيين ، وحرّاس السفارات ، وأحياناً أبناء أو زوجات الدبلوماسيين .

وكأى مجال من المجالات ، لا تخلو المسيرة من المخطئين ، لكنه غالباً ما يُحاسَبُ المخطىء على خطئه .

أما فى المجال الدبلوماسى ، فوجود الحصانة يحمى صاحبها من العقاب أو حتى المُساءلة عما ارتكب فى حق المواطنين فى البلد المضيفة له أثناء مهمته . فهو مُحصّن تماماً ضد أى قضايا مدنية قد تُثار ضده . ولا يبقى

فى النهاية من يستطيع محاسبته سوى حكومة بلده ـ التى غالباً ما تستنكر أى شيء يسيء إلى سمعة رجالها ـ ولكن يبقى عذاب الضمير ...

من هنا يتضح مدى الخطورة التى قد يشكلّها المُحصَّن على غيره من المواطنين العاديين ، لو لم يواكب هذه الحصانة قدر كاف من التحضّر والخُلق النبيل .

وفى هذا الكتاب أردت أن أعرض عليكم ، كيف استغل بعض الدبلوماسيين ، من دول العالم المختلفة ، حصانتهم فى ارتكاب ما يشاءون من جرائم ، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع أحد محاسبتهم على ما اقترفوا فى حق غيرهم من المواطنين ا، وذلك من خلال ما جاء على ألسنة المحققين فى مكتب التحقيقات الفيدرالى بأمريكا ، وما نشرته الصحف العالمية ، وما تناول عرضه الآخرون فى كتاباتهم فى هذا الموضوع . ولا أود أن يكون هذا الكتاب مجرد عرض لجرائم الآخرين ، لكنه يعرض أيضاً صورة لما يجرى بين دول العالم المختلفة فى علاقاتها الدبلوماسية بعضها ببعض ، والتى أعتقد أنها بحاجة إلى إعادة النظر ، بحيث لا يدخل دبلوماسى أجنبى أى بلد ، ويفعل ما يشاء ، ثم يعود إلى بلده سالماً ! ، وأعتقد أنك أيضاً ستشاركنى نفس هذا الرأى بعد قراءة هذا الكتاب .... بإذن الله .

والله الموفق

دكتور أيمن الحسينى أبو الروس

الإسكندرية فى ١٩٨٩/١١/١٠

اغتصـــاب

الاغتصاب تجربة مريرة ، قد تبقى ذكراها شبحاً مخيفاً يطارد الضحية طوال عمرها ...

جين ... كارول ... هولى ، هُنّ ثلاث يدركن تماماً معنى هذه التجربة ، وذكراها الأليمة ، عن غيرهن من الضحايا . فقد اغتصبت كل منهن بمنتهى القسوة والعنف ، والأكثر من ذلك ، لم ينصف القانون أيّاً منهن ، فظل الجانى حراً طليقاً ، لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية !

ومن المؤسف أيضاً ، أن جين وكارول هما ضحيتان لشخص واحد ؛ اغتصبت كلتاهما خلال بضعة شهور !، فكانتا ضحيتين فى حالة لا تنسى من ضمن الحالات التى قام ببحثها المسئولون فى وحدة الجرائم الجنسية بنيويورك ، فكما يذكر بيت كريستيانسن ، أحد أعضاء هذه الوحدة ، والذى اشترك فى بحث هذه الحالة ، أنها من الحالات الفريدة جداً التى وردت إلى الوحدة ، والتى لا يمكن أن تُنسى ، ووصفها بقوله « حالة ساخنة جداً » ، وقد أثارت تلك الحالة فى نفوسهم جميعاً الضيق والأسف الشديد ، بعد أن عجزوا عن اتخاذ أى إجراء يقتص من الجانى ؛ فالقانون يأمرهم أن يطلقوا سراحه دون عقاب !

◀ جين : الضحية الأولى :

تحت تهديد السّكين .. اغتصبت هذه الفتاة البريئة ـ جين دوى ـ بل والأبشع من ذلك ، أن ذلك الوحش الآدمى ، مرتكب هذه الجريمة ، والذى يسكن فى المنزل المجاور لمنزل جين ، لايزال حراً طليقاً ، رغم أنف الجميع ، فلم يستطع القانون عقابه ، بالرغم من ثبوت إدانته ، والسبب هو تمتعه بالحصانة الدبلوماسية !!

فيالعذاب المسكينة جين !!، ويالمرارة الذكرى التى تنبعث كل ليلة من المنزل المجاور !!

ففى يوم الجمعة من شهر يناير سنة ١٩٨١ ، خرجت جين من عملها فى ميعادها المعتاد لتستقل الأتوبيس لمنزلها ، وخرج معها فى نفس الوقت مئات الموظفين من أعمالهم حيث امتلأت بهم شوارع منطقة منهاتن - بولاية نيويورك . وما كان أشد برودة ذلك اليوم وأمطاره الغزيرة التى ظلت تلاحق المارة من هنا وهناك . انتظرت جين فى لهفة شديدة قدوم الأتوبيس لكى تنجو من ذلك البرد القارص . وجاء الأتوبيس ، فصعدت جين لتجلس فى المقعد الأخير بجوار النافذة ، وألقت برأسها على مسند الكرسى لتسترخى قليلاً بعد انتهاء يوم عمل شاق ، وراحت تفكر فى اليوم التالى ، نهاية الأسبوع ، وفى الأوقات الجميلة التى ستقضيها فى ذلك اليوم مع صديقاتها كما خططن لذلك .. وفكّرت جين فى أن تمر على صديقة لها بالمحل الذى تعمل به لتأكيد ميعاد اللقاء ، لكنها كانت حقاً مُتعبة للغاية فى ذلك اليوم ، فرأت أن تكتفى بالاتصال بها تليفونياً بعد عودتها للمنزل ... وجاءت محطة جين ، فنزلت من الأتوبيس ، وكالعادة راحت تشترى بعض الأطعمة لوجبة العشاء قبل ذهابها للمنزل ، وأنهت جين جولتها ، وبدأت تقترب من منزلها ... صعدت جين سلالم المنزل حتى وصلت شقتها ، وراحت تبحث فى حقيبتها عن سلسلة المفاتيح ، وفى تلك اللحظات أحست جين بحركة غريبة ، كأن أحداً قد اختبأ فى مكان ما ، وقبل أن ترفع جين رأسها ، وتلتفت حولها لتتبين الأمر ، كانت المفاجأة .. فامتدت إلى عنقها يدٌ تحمل سكيناً حاداً ، ولم تستطع جين الصراخ أو حتى أن تنطق بكلمة واحدة ، فسريعاً ما امتدت اليد الأخرى من الخلف لتكتم أنفاسها !. بلهجة عنيفة اختلط بها شىء من الارتباك ، هدد ذلك الوحش جين ، قائلاً :

« افعلى كل ما أريد وإلّا قتلتك » .

ولم تدر جين ماذا تقول أو ماذا تفعل !!

فقد كانت هذه المفاجأة كفيلة أن تربكها تماماً ، فلم تعد تحس إلّا بدقات قلبها التى صارت تخفق بشدة ، وبعرقها الغزير الذى راح يتصبب على وجهها .

وبصوت خافت ، قالت جين وهى ترتعد : « أتوسل إليك ألا تقتلنى ، سأفعل كل ما تريد .. سأفعل كل ما تريد » .

« افتحى باب الشقة بسرعة ، وإياك أن يصدر منك أى صوت أو صراخ » ، هكذا أمرها ذلك الرجل ، وهو يزج بها ناحية الباب .

ودخلت جين شقتها وهو يتبعها من الخلف ولا يزال مطبقاً بيده على فمها ، ثم دفعها بقوة ليلقى بها على كرسى فى ردهة الشقة .. وهنا بدأت جين تتبين شخصية ذلك الرجل ، إنها تعرفه .. نعم تعرفه ، إنه مانويل ايرى ذلك الشاب الزنجى ، المقيم بنفس شارعها ، إنها حقاً مفاجأة أخرى ، لم تكن جين تتوقعها على الإطلاق !

« هل تقيمين بمفردك ؟ » ، سألها مانويل وهو يجول بنظره فى أركان الشقة .

« نعم ، أقيم بمفردى » ، أجابت جين وهى لا تزال ترتعد من المفاجأة .

« هل أنت متأكدة ؟ ، إياك أن تكذبى وإلّا قتلتك » ، هكذا سألها مانويل مرة أخرى ، وهو لايزال ممسكاً بالسكين فى يده .

« نعم ، أقيم بمفردى » ، هكذا أجابت جين ، وقد بدأت تتمالك نفسها قليلاً . وبدأ تفكيرها ينصرف فى ذلك الوقت إلى شىء آخر ، وهو المال ، فراحت تفكر فى كل ما لديها من دولارات بحقيبتها ، وما تدخره فى

المنزل لتقدمها إليه ، لعله ينصرف عنها . لكنه فى الحقيقة لم يكن مبلغاً كبيراً ، ومع ذلك فقد عرضت عليه قائلة ، وهو لايزال يجول بنظره فى أركان الشقة .

« سأعطيك كل ما أملك من نقود ، ولكن أتوسل إليك أن تتركنى بعد ذلك » .

وبدأت جين بالفعل تخرج من حقيبتها كل ما لديها من دولارات ، وقدمتها له . فتناولها مانويل بوحشية ، قائلاً :

« هل هذا هو كل ما لديك ؟ »

قالت جين : « نعم ، هناك فقط بضع دولارات أخرى سأحضرها لك من الحجرة » ، لكن قبل أن تهم جين بالذهاب لإحضار باقى النقود ، جذبها من يدها قائلاً : « لا أريدها الآن » . وبدأ مانويل يقترب منها تدريجياً ، والشرر يتطاير من عينيه ، وهو لايزال موجهاً سكينه نحوها . ثم دفعها دفعة قوية إلى حجرة نومها وألقى بها على الفراش .. ثم طلب منها أن تتخلى عن ثيابها . ولم يكن أمامها إلّا أن تستجيب لرغبته ، وهو لايزال يهددها بسكينه .

ما كان أقسى تلك الفترة التى اقترب فيها جسد جين من جسد ذلك الذئب ، فقد كان وحشاً قذراً ، مليئاً بالعقد والشذوذ ..

ومضى الوقت كأنه سنين طويلة ، ورحل الوحش الأسمر تاركاً خلفه جين خائفة مذعورة ، لا تدرى ماذا تفعل ، فقد مرَّ كل ما جرى كأنه كابوس مخيف .

وبدأت جين تتمالك نفسها من جديد ، والتقطت سماعة التليفون لتتصل بصديقتها وتخبرها بما حدث ، والتى قامت على الفور بالاتصال بالشرطة .

وبدأ التحقيق ، واستمر أياماً وأياماً ، ذهبت خلالها جين للمستشفى لإثبات حالة الاغتصاب . وصارت كل الأدلة تشير إلى شخص واحد هو مانويل .

وفى النهاية جاءت كلمة العدالة فكانت طعنة أخرى لجين ، فقد أفرجت السلطات عن مانويل ، ولم تستطع عقابه على وجه الإطلاق ، فليس لها الحق فى ذلك فهو ابن لأحد رجال السلك الدبلوماسى التابع لإحدى دول إفريقيا السوداء !!

والأغرب من ذلك أن السلطات لم تستطع ترحيله إلى بلاده ، أو حتى إرغامه على الانتقال لولاية أخرى ، أو حتى منطقة أخرى فى نيويورك . فاستمر مانويل جاراً لجين فى مسكنه ، يعيش فى سلام وأمان ، وكأن شيئاً لم يحدث على الإطلاق . وكأنه كُتب على جين أن تعيش رغماً عنها فى ذكرى تلك الليلة المؤلمة ليلاً ونهاراً ، فكيف لها أن تنسى وهذا الذئب حر طليق فى المنزل المجاور !... فيالعذاب المسكينة !.

∞ ∞ ∞ ∞

◄ كارول : الضحية الثانية :

كارول هولمز .. هى ضحية أخرى لذلك الذئب الأسمر ، والذى قام باغتصابها بعد عدة شهور من جريمته مع جين !

وتبدأ القصة ، كما روتها كارول للمحققين ، فى ذلك اليوم البارد جداً من شتاء ١٩٨١ ، حين خرجت كارول من منزلها متوجهة إلى « السوبر ماركت » لشراء بعض الأطعمة لها ولقطتها الحبيبة المنتظرة بالمنزل .

كانت شوارع نيويورك شبه خالية فى ذلك الوقت المتأخر من الليل وفى تلك الليلة الباردة ، لكنها كانت متعة كبيرة أحستها كارول وهى تسير بمعطفها الأسود السميك حاملة مظلتها فى تلك الشوارع الخالية وبين

كرات الجليد التى راحت تتناثر من السماء من فترة لأخرى .

ووصلت كارول للسوبر ماركت ، وراحت تتجول بين أرجائه ، وفى أحد الأركان وقفت كارول تنتقى بعض الأطعمة المصفوفة على أحد الأرفف ، وبينما كانت تجول بنظرها على الأطعمة إذا بها تلتقى بعينين غريبتين ، تطلان عليها من الجانب الآخر بنظرة شاذة مملوءة بالرغبة ، لشخص أسود طويل القامة ، ولم يكن ذلك الشخص إلّا مانويل ابرى ، اندهشت كارول من نظرة ذلك الرجل ، وبدأت تحس بالخوف ، فانتقلت إلى قسم آخر للمشتريات ، لكن ما نويل أحس بارتباكها فقرر متابعتها من بعيد حتى لا تشعر به .

أنهت كارول ما جاءت إليه ، وعادت مرة أخرى إلى منزلها . وكانت المفاجأة .. فإذا بها تلتقى بذلك الشخص الأسود مرة أخرى ببهو المنزل ، الذى سريعاً ما أخرج سكيناً حاداً من سترته ليهدد كارول قائلاً :

« إياك أن تصرخى ، وإلّا قتلتك فى الحال ، هذا السكين مُسمم .. سيقتلك فى الحال » .

فارتبكت كارول ، وقالت له خائفة : « أرجوك لا تفعل .. سأعطيك كل ما أملك من نقود » .

فاقترب منها مانويل ، وهو ينظر إليها نظرة وحشية مخيفة بعينيه الواسعتين الغريبتين ، ولم تستطع كارول أن تتحمل تلك النظرة الوحشية التى راحت تتخلل إلى أعماقها ، فزاد ارتباكها حتى كادت تنهار ، فاستندت بجسمها على أحد الجدران . وفى أثناء ذلك ، اقترب منها مانويل أكثر وأكثر ، وفجأة انقض عليها كالوحش لينال منها مايبتغيه ، ولم تستطع كارول مقاومته على الإطلاق فقد كان مانويل عملاقاً بجسمه الطويل القامة بالنسبة لجسم كارول الرقيق المتواضع ، ثم جذبها مانويل ناحية السلم ، قائلاً : « اصعدى أمامى إلى شقتك ، وإياك أن تصرخى وإلّا قتلتك » .

فبدأت كارول فى الصعود وخلفها مانويل موجهاً سكينه إلى ظهرها ، وودت كارول لو تستطيع أن تلفت انتباه سكّان المنزل إليها أثناء صعودها ، ولكن كيف ذلك ؟ ، فذلك الوغد سيقتلها فى الحال ، فلم يكن أمامها سوى الاستسلام له ، وليفعل ما يفعل ..

ووصلت كارول إلى شقتها ، وفتحت الباب ومانويل يتبعها من الخلف ، وما أن دخلت الشقة ووراءها مانويل حتى جرت قطتها ناحيتها ، ووقفت عند قدميها تنظر إليها وإلى مانويل فى دهشة ، وكأنها تريد أن تسألها من هذا الرجل ؟

فى هذه اللحظات ، صاح مانويل فى كارول قائلاً : « هل هناك أحد بالشقة ؟ » ، ثم كرر السؤال ثانية ، « هل هناك أحد بالشقة ؟ » . فردت كارول قائلة : « لا ... إنى أسكن بمفردى » .

وعاد مانويل يسألها ثانية : « وصديقتك ... أين صديقتك ؟.. هل ستحضر اليوم ؟.. إياك أن تكذبى وإلّا قتلتك » .

فأجابت كارول : « لا .. لن تحضر اليوم » . فصاح مانويل قائلاً : «أين النقود؟. أريد كل ما لديك من نقود ... إياك أن تخفى شيئاً » .

فأجابت كارول : « إنى لا أترك بالمنزل سوى نقود قليلة ... دعنى أحضرها إليك » ، وذهبت كارول لتحضر النقود وتبعها مانويل ، وفتحت كارول إحدى الحقائب وأمسكت فى يدها مائة دولار وقدمتها لمانويل ، الذى اختطفها من يدها سريعاً ودسّها فى سترته .

فقالت كارول : « والآن أتوسل إليك أن ترحل عنى » . وما كادت تنهى هذه العبارة حتى عاد مانويل ليقبلها مرة أخرى بمنتهى الوحشية ، ثم صرخ فيها قائلاً : « والآن .. تخلّى عن ثيابك .. تخلّى عن ثيابك » .

ومضى حوالى نصف ساعة ، أخذ فيها مانويل كل ما أراد وبمنتهى

الوحشية والشذوذ ، ثم أشعل سيجاراً واسترخى قليلاً على الفراش ، وراح يهذى بكلمات غير مفهومة ، وبمنتهى الجنون والوحشية راح مانويل يحرق كارول فى جسدها بسيجارته المشتعلة وهى تتوسل إليه أن يرحل عنها . وفجأة سمع مانويل صوتاً غريباً ، لم يستطع تحديده تماماً ، ولكن كارول استطاعت أن تحدد مصدر ذلك الصوت ، إنه أحد السكان يهّم بمغادرة شقته . فارتبك مانويل ، وأسرع يرتدى ثيابه وخرج مسرعاً من الشقة . فنهضت وراءه كارول ، وهى شبه عارية ، لتلحق به على سلم المنزل ، وراحت تصرخ قائلة : « النجدة ... النجدة ... هذا الرجل اغتصبنى .. أمسكوا به » .. ولكن مانويل ، كان أسرع من الريح ، فلم يستطع أحد من السكان ــ الذى خرج بعضهم ليتبين الأمر ــ اللحاق بمانويل أو حتى رؤيته بوضوح ..

فى نفس تلك الليلة ، دق جرس التليفون بقسم الشرطة لتحكى كارول للضابط كل ما حدث ...

وبدأ التحقيق .. ولم تسفر التحريات تماماً عن شخصية ذلك المجرم .. ولكن بدا للمحقق وجود تشابه كبير فى قصة كارول وضحية مانويل السابقة جين ، مع وجود تشابه كبير بين أوصاف مانويل ، وبين أوصاف مرتكب هذه الجريمة ، كما جاء على لسان كارول . ومن هنا بدأت الشبهات تلاحق مانويل ، الذى أحس فى قرارة نفسه بافتضاح أمره فترك منزله وأقام بأحد الفنادق ، إلّا أن رجال الشرطة استطاعوا أن يقبضوا عليه فى أحد ميادين نيويورك .

وبالرغم من اعترافه باغتصاب كارول أمام المحققين ، وبالرغم من ارتكابه لجريمة أخرى مماثلة حين قام باغتصاب جين ، إلّا أن رجال القانون لم يستطيعوا اتخاذ أى عقوبة ضد هذا الوحش الثائر ، فقاموا بالإفراج عنه لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية !!

ويالها من صرخة مدوية صرختها كارول أمام المحققين حين علمت بالإفراج عن هذا الذئب الآدمى ، فقالت بأعلى صوتها وهى تبكى : «لا يمكن أن يحدث هذا .. لا يمكن أن يحدث هذا .. فى أى زمن نحن نعيش ؟» .

وتولدت مع هذه الصرخة صرخة أخرى دفينة فى نفوس المحققين ، ولكن ما عساهم أن يفعلوا ، فهذا هو القانون !!



كارول .. ونظرة حزن لم تفارقها ، بعد تجربة الاغتصاب المريرة التى مرّت بها

◄ رحيل الذئب الأسود !..

لكن لم ينته الأمر عند هذا الحد ، فمن ناحية أخرى ، وبعيداً عن القوانين التى أباحت لمثل هذا الإنسان الهمجى أن يفعل ما يشاء بلا حساب ، بدأت عدة اتصالات بين عدد من المسئولين بإدارة الولاية وبين المسئولين بسفارة ذلك الدبلوماسى ، وعلى رأسهم س. م. ا والد الوحش الآدمى ، أدان فيها المسئولون الأمريكيون هذه الجرائم البشعة التى ارتكبها مانويل فى حق بلادهم ، والتى قد تسىء إلى العلاقات الودية بين الدولتين ، وطالب المسئولون الأمريكيون بضرورة ترحيل مانويل إلى بلاده على ألّا يعود مرة أخرى لأمريكا .

وفى الحقيقة أن هذه الاتصالات قد تميزت فى بادىء الأمر بشىء من الخشونة من مسئولى الدولة الافريقية ، ومن جانب والد المجرم حيث أبى الاعتراف بجرائم ابنه ، وعلل الأمر على أنه نوع من التفرقة العنصرية يُراد به إساءة سمعة السود فى أمريكا ، ولكن تحت ضغط الجانب الأمريكى وإصراره على سفر مانويل إلى بلاده بلا عودة حتى لا تتأثر العلاقات بين أمريكا وتلك الدولة الأفريقية ، استجاب بالفعل الجانب الأفريقى لهذا الطلب .

وفى نفس تلك السنة ، وفى مطار نيويورك ، صعد الذئب الآدمى الطائرة تحت رقابة البوليس الأمريكى ليرحل إلى بلاده بلا عودة ، وترحل معه ذكرى جريمتين بشعتين فى حق الإنسانية كلها ، والتى مهدت لهما وساندتهما هذه الحماية المطلقة المسماة بالحصانة الدبلوماسية !

◄ هُولى : حالة اغتصاب أخرى !!..

هولى .. هى فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها ، تدرس بإحدى المدارس الشهيرة بولاية واشنطن ، والتى ينتمى معظم طلابها إلى

جنسيات مختلفة ، وأغلبهم أبناء لرجال السلك الدبلوماسى .

وهولى ، كما تبدو دائماً لزميلاتها ، هى رمز للنشاط والحيوية ، فهى دائماً منطلقة متفائلة ، تضفى بشخصيتها المرحة جواً من البهجة والسرور على من حولها .

وجاءت إجازة نصف السنة تحمل لهذه الفتاة المرحة مفاجآت مريرة ، لم تكن تتوقعها على وجه الإطلاق ، وكانت كفيلة بأن تغيرها تماماً إلى فتاة بائسة حزينة ..

ففى تلك الإجازة ، سافر أبواها خارج واشنطن ، وبقت هولى وحيدة بالمنزل ، وهى المرة الأولى التى تبقى فيها بمفردها دون والديها ، لكنها لم تشعر بالخوف من هذه التجربة ، وأرادت أن تكون عند حسن ظنهما ، فالتزمت تماماً بتعليماتهما ، فلم تغادر المنزل إلّا للضرورة ولم تشترك مع أصدقائها فى أى حفلات أو سهرات . ولكن لم يمض سوى يومين ، حتى بدأت هولى تشعر بالملل ، فكانت تتلهف أن تزورها إحدى الصديقات ، أو تأتى إليها مكالمة تليفونية لتزيح عنها شيئاً من الوحدة والملل .

وفعلاً ، تحقق شيء مما تمنته هولى ، ففى مساء يوم الجمعة دق جرس التليفون ، ودارت هذه المكالمة .

ــ هولى : آلو .. أنا هولى ... من المتحدث ؟

ــ الطرف الآخر : مساء الخير ياهولى .. أنا (هـ) . زميلك بالمدرسة .

فدهشت هولى للحظات ، فهى لا تعرف هذا الشخص إلّا معرفة سطحية ، فمن أين أتى برقم التليفون ، وماذا يريد ؟.. فردت قائلة :

ـ مساء الخير يا (هـ) ، هل من خدمة أؤديها لك ؟

ـ (هـ) : كلّا .. كل ما هناك أننى ومجموعة من الزملاء والزميلات سنقيم حفلاً الليلة ، فأردنا أن تكونى معنا .

وكم كانت هولى متشوقة فى ذلك الوقت إلى مثل هذه الحفلات ، ولقاء زملائها بالمدرسة لتتحدث إليهم وتستمتع بأُحاديثهم المرحة ، لكنها فى نفس الوقت لم تشأ أن تخرج عن تعليمات والديها ، فردت بشيء من التردد قائلة :

ـ أشكرك يا (هـ) ، وأعتذر عن الانضمام لكم ، فالوقت الآن متأخر ..

ـ (هـ) : لا تحملى هماً ، سنمر عليك بالسيارة لنصطحبك للحفل ، وسنعود بك مرة أخرى متى تريدين ذلك ..

ـ هولى : ولكن ..

ولم تكمل هولى عبارتها ، حتى قاطعها (هـ) قائلاً :

ـ لا تترددى ياهولى ، فكل الزملاء ينتظرون قدومك .. سأمر عليك بعد عشر دقائق .

ولم تدر هولى بماذا تجيب ، فقد كانت نبرة (هـ) نبرة قوية مطمئنة ، أشعرتها بشيء من الضعف ، خاصة أنها كانت تحلم فى داخلها بسهرة كهذه السهرات ، فردت هولى قائلة :

ـ لا بأس ... سأنتظرك فى الميعاد .

ومرت الدقائق سريعاً ، وجاء (هـ) فى الميعاد راكباً سيارة فارهة سوداء خاصة برجال السلك الدبلوماسى ، تلك السيارة هى سيارة والده الدبلوماسى المنتمى لإحدى الدول الأسيوية . وانطلقت السيارة

مسرعة تحمل هولى وبجوارها (هـ) الذى أعد لها فى تلك الليلة مفاجأة لم تكن تتوقعها على الإطلاق ..

وأمام أحد المنازل توقفت السيارة .. ونزل (هـ) وهولى ليصعدا معاً إلى إحدى الشقق حيث اللقاء الموعود .. وما أن دخلت هولى الشقة حتى رأت جواً غريباً عليها تماماً ، وأشخاصاً لا تعرفهم ، راحوا يضحكون ويصخبون وهم يتمايلون كالسكارى وسط سُحبٍ من دخان المخدرات التى امتلأت بها الشقة .

فأحست هولى بالغدر وبهذا الفخ الذى نصبه لها هذا الذئب الصغير ـ (هـ) ـ الذى لم يتجاوز عمره الثامنة عشرة ! لكنها تمالكت نفسها ، وبهدوء شديد طلبت من (هـ) الانصراف لمنزلها ، وعند هذه اللحظة جذبها (هـ) من ذراعها إلى إحدى الغرف وطلب من أحد أصدقائه الموجودين معه مصاحبتها للغرفة ، هذا الصديق هو ابن آخر لأحد الدبلوماسيين الأفريقيين ، وقام صديق (هـ) بشل حركة هولى بعد أن ألقى بها على الفراش ، وفى نفس الوقت قام (هـ) باغتصابها ، ثم جاء دور الصديق ، فقام (هـ) بإمساكها جيداً حتى ينتهى صديقه من اغتصابها مرة أخرى .. ياللبشاعة !!

ومرت حوالى ساعة ، أحست خلالها هولى بأقسى درجات الجزع والألم النفسى ، بينما راح (هـ) وصديقه يضحكان ويسخران دون أى مبالاة بما سببّاه لهذه الفتاة البريئة ذات الخمسة عشر عاماً . واصطحب (هـ) وصديقه هولى إلى منزلها وهى لا تزال تبكى فى حزن وأسف .. وانطلقت السيارة السوداء مرة أخرى إلى منزل هولى وهى تسير بسرعة جنونية غير عابئة بأى إشارات للمرور .

ثم صاح (هـ) قائلاً : « انظرى كيف أسير بسيارتى فى شوارعكم

دون أى مبالاة ، نحن أبناء الدبلوماسيين لا يستطيع أى فرد محاسبتنا حتى أنت لن تستطيعى أن تفعلى أى شىء» ، ثم استطرد قائلاً : «أنصحك بالصمت ، فلن ينوبك أى شىء سوى انتشار الخبر وسخرية الزملاء ، ولعلمك ، أنت ثالث فتاة نغتصبها هذه الليلة» !!

وعادت هولى إلى منزلها حزينة بائسة لا تدرى ماذا تفعل ، فهى لا تستطيع مصارحة والديها بذلك بعد أن أوصياها بعدم الاشتراك فى أى حفلات أو سهرات ، كذلك فهى لا تستطيع الصمت ، فما أصعب أن تتحمل هذه التجربة المريرة وحدها دون إنسان آخر يشاركها بالرأى والمواساة .

وعاد الوالدان من سفرهما بعد حوالى يومين من تلك الليلة ، والتزمت هولى بالصمت لأكثر من ليلتين كاملتين ، لكنها لم تستطع تحمُّل ذلك الألم النفسى الشديد الذى قد امتلأ به صدرها ، أكثر من ذلك ، فقررت مصارحة والديها بما حدث ، خاصة بعد أن بدا لهما ، فى نفس الوقت ، أن هناك شيئاً قد حدث لها أثناء سفرهما .

قام والد هولى بإبلاغ الشرطة على الفور ، بعد أن حكت له هولى كل ما جرى . لكن بعد رحلة طويلة من التحقيق والبحث ، لم تستطع السلطات ، توقيع أى عقوبة على (هـ) ، لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية .

وفى نفس الوقت ، وبينما كان (هـ) حراً طليقاً يفعل ما يحلو له دون حساب أو رقيب ، كانت هولى قد أصبحت زهرة تذبل بعد أن أصابها اكتئاب وفزع رهيب بعد تلك التجربة المريرة ، فكانت تعالج نفسياً بجلسات أسبوعية عند أحد الأطباء المتخصصين .

لكن لم يستسلم والد هولى لنتائج التحقيق «الظالمة» ، خاصة بعد الحالة النفسية السيئة التى كانت تعانى منها ابنته ، فاستطاع ، من خلال

محاميه ، الضغط على المسئولين بإدارة الولاية لإجراء اتصالات مع السفارة الأسيوية لإرغام (هـ) على مغادرة البلاد ، بعد أن أصبح شبحاً مخيفاً يطارد هولى بصفة مستمرة ، فهو طالب بنفس مدرستها .

وبالفعل ، بعد مباحثات طويلة بين إدارة الولاية والسفارة ، استجابت السفارة لرغبة الإدارة ، وتم الاتفاق على عودة (هـ) إلى بلاده .

لكنه ، كان من الصعب على (هـ) أن يعود مرة أخرى ليعيش فى بلاده « الأسيوية » ، بعد أن تعوّد على الفسق والرذيلة ، كما كان من الصعب أن يقطع دراسته بأمريكا ، بعد أن أمضى بها شوطاً كبيراً .

فسافر (هـ) ، بالفعل ، إلى بلاده ، لكنه عاد إلى أمريكا مرة أخرى بعد حوالى شهر !.

لكن لم يخف ذلك الأمر طويلاً على هولى ووالدها ، بعد أن رآه بأحد محلات المدينة . فقام محامى والد هولى بالاتصال بإدارة الولاية مرة أخرى ، لكن الإدارة لم تنجح تلك المرة فى الوصول إلى أى شىء . فكان تعليق السفارة غريباً للغاية ؛ إذ تنكرّت لشخصية (هـ) . وادعت أن ذلك الشخص المزعوم هو شقيق (هـ) الذى يشبهه تماماً !!.

وعاد شبح تلك الليلة يخيّم مرة أخرى على هولى ، كلّما رأت (هـ) ، أو حتى أحست بأن ذلك الوحش الذى اغتصبها لايزال قريباً منها فى بلدتها .

ولم يكن أمام الوالدين ، سوى الانتظار حتى تنتهى ابنتهما من دراستها بالمدرسة ، فيرحلا بها إلى ولاية أخرى ، لعلها تنسى تلك الليلة ...



آه .. من الحقيبة الدبلوماسية !!

◄ ***ما هى الحقيبة الدبلوماسية ؟***

تُعرف فى أمريكا باسم diplomatic pouch ، وفى بريطانيا يطلق عليها diplomatic bag ، أما فى فرنسا فيطلقون عليها La valise diplomatique ، وأياً كانت تسميتها أو نوعها فقد اتفقت ١٤٣ دولة من دول العالم على تحريم فتح هذه الحقيبة أو حتى التحرى عما بها ــ بند ٢٧ من معاهدة فيينا .

وكان الغرض من هذا القرار هو المحافظة على سريّة ما تحمله الحقيبة الدبلوماسية من وثائق هامة وأسرار دولية أو حتى ما قد تحمله من أشياء خاصة بالرجل الدبلوماسى . هذه هى وظيفة الحقيبة الدبلوماسية وما يجب أن تحمله بداخلها .

لكنه ، وخاصة فى السنوات القليلة الماضية ، صارت لهذه الحقيبة وظيفة أخرى بعيداً عن وظيفتها الأساسية ، فاستخدمها بعض الدبلوماسيين كوسيلة مأمونة للغاية لتهريب ما يريدون تهريبه عبر الدول .

وفى أغلب الأحيان تُختم الحقيبة الدبلوماسية بختم من الشمع أو الرصاص موضحاً به اسم الدولة القادمة منها ، كما تحمل أيضاً لافتة يكتب عليها diplomatic (دبلوماسى) ، وعادة يخصص عامل من جهة السفارة لحمل هذه الحقيبة أثناء السفر ويجب أن يحمل معه دائماً بعض الوثائق الرسمية التى تدل عليه وعلى الحقيبة الدبلوماسية أثناء رحلات السفر ، ويمكن للرجل الدبلوماسى أن يصطحب معه أى عدد من اللفافات أو الصناديق أو الحقائب التى تكوّن فى مجموعها ما يسمى بالحقيبة الدبلوماسية .

وحسب معاهدة فيينا أيضاً ، لا يُدفع أى رسوم جمركية على الحقيبة الدبلوماسية مهما تعددت صفتها وأما الحقائب الشخصية فيجوز تفتيشها ولكن فى وجود الدبلوماسى أو من ينوب عنه ، ويُدفع عليها رسوم جمركية كأى حقائب أخرى .

◀ ***حقيبة دبلوماسية فى صورة عربة شاحنة !***

من الملاحظ من بنود اتفاقية فيينا أنها لم تحدد شكلاً معيناً أو حجماً محدداً لما يطلق عليه الحقيبة الدبلوماسية ، فكما سبق يمكن أن تشتمل هذه الحقيبة فى مجموعها على عدد من الحقائب أو الصناديق أو اللفافات أو ما شابه ذلك .

وكان أذكى من استغل هذه الثغرة هم السوفييت . ففى يوليو ١٩٨٤ حاول بعض رجال السلك الدبلوماسى السوفييتى أن يمروا عبر حدود سويسرا عند مدينة بازل بعربة شاحنة على أنها حقيبة دبلوماسية !! ، ورفضوا تماماً الإفصاح عن محتوياتها فى بادىء الأمر ، ولكن أمام ضغط السلطات أشاروا إلى احتواء العربة الشاحنة على أجهزة رادار لاستخدامها فى أعمال رسمية ، لكن لم يرضخوا أبداً لرغبة السلطات فى تفتيش العربة .

وانتهى الأمر برفض دخول العربة إلى الأراضى السويسرية وعودتها ثانية إلى موسكو ، بعد أن ادعى المسئولون أن أقصى ثقل للحقيبة الدبلوماسية هو ٤٥٠ رطلاً .

ومرت الشاحنة بعد خروجها من حدود سويسرا إلى ألمانيا الشرقية ، وتكررت نفس المشكلة ، فقد رفض السوفييت الإفصاح عن محتويات الشاحنة . ومر أحد عشر يوماً بعد ذلك لم تستطع فيه الشاحنة اجتياز حدود بون . فقد رفض الألمان تماماً اعتبار الشاحنة حقيبة دبلوماسية ليس بسبب حجمها الهائل وإنما لأنها وسيلة متحركة قادرة على الانتقال .

وأخيراً لم يجد السوفييت بُدًّا من الاستسلام لرغبة الألمان فى تفقد الشاحنة . وتم ذلك بالفعل داخل السفارة السوفييتية فى بون ، وهو أمر مشروع قانوناً طالما تمت المعاينة على أرض سوفييتية .

وتم معاينة ما بالشاحنة وجاءت نتيجة المعاينة على احتوائها على ٢٠٧ طرداً دبلوماسياً لكن السلطات الألمانية اعتبرت الطرود نفسها تمثل الحقيبة الدبلوماسية ، ولم تقم بفتحها .

وانتهى الأمر بالسماح للشاحنة بالمرور من الأراضى الألمانية فى طريقها إلى موسكو .

وبعد حوالى عام من هذه الواقعة ، وفى يونيو ١٩٨٥ ، قام السوفييت بموقف آخر مشابه ، فقاموا بإرسال شحنة تزن ٣٥ طناً من الأدوات المنزلية ، وتم الإفراج عنها فى ميناء بالتيمور دون دفع أى رسوم جمركية ودون أن يقوم رجال الجمارك بفحصها على أنها حقيبة دبلوماسية . وقد أبدى المسئولون فى منظمة البنتاجون استيائهم للسماح بمرور تلك الشحنة دون دفع أى رسوم جمركية . وإن كان من الأولى أن يعيدوا حزم الأمور ، بحيث لا يتحايل أحد مرة أخرى على القانون كما فعل السوفييت .. الأذكياء !..

∞ ∞ ∞ ∞

استفاد أيضاً بعض الدبلوماسيين من مميزات الحقيبة الدبلوماسية ، بطريقة غير شرعية ، فقاموا بجلب بضائع مختلفة داخل حقيبتهم الدبلوماسية بهدف الاتجار بها بفضل تلك الحقيبة العجيبة ، التى لا تخضع لأى تفتيش ولا رسوم جمركية ولا شكل ولا وزن محدّد .

وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مع حالة التدهور الاقتصادى وما صاحبه من الحد من الاستهلاك والاستيراد .

فأصبحت الحقيبة الدبلوماسية ـ بما يمكن أن تحمله من بضائع مهربة إلى داخل البلاد ـ مصدر رزق وفير لبعض الدبلوماسيين .

◀ الدبلوماسى مهرب الساعات !!

● ٢١٩٠ «ساعة» أخفاها فى ملابسه !

فى تلك الفترة ، على سبيل المثال ، ارتفع ثمن الساعات بشكل كبير فى انجلترا ، وزادت حاجة السوق المحلية إلى استيرادها ، فأصبح تهريب الساعات السويسرية بثمنها الزهيد إلى انجلترا أمر مربح للغاية لتجّار السوق السوداء ، وإن كان تهريب الساعات قد يكون أصعب من تهريب المخدرات أو الجواهر ، فهى أثقل فى الوزن ، كما ينبغى على المهرِّب أن يقوم بتهريب عدد كبير منها حتى يحقق ربحاً كبيراً .

ومن الوقائع التى جرت فى تلك الفترة ، والتى توضّح بالفعل هذه الصعوبة ، أذكر هذه الواقعة الطريفة ، حين قام أحد الدبلوماسيين الفرنسيين ـ جورج جيوفروى ـ والذى يعمل بالسفارة الفرنسية فى لندن ، بمحاولة تهريب عدد كبير من الساعات بعد أن أخفاها فى بطانة سترته ومعطفه . وأثناء دخول سفينته إلى المرسى ، اهتزت السفينة هزة شديدة كانت كافية لاحتكاك الساعات ببعضها وانبعاث صوت الرنين من بعضها . وعند وصول الدبلوماسى إلى صالة الجمارك كان صدور أصوات الرنين و « التكتكة » من داخله كاف لافتضاح أمره .

وبالرغم من ذلك رفض ذلك الدبلوماسى أن يقوم رجال الجمارك بتفتيشه لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية ، لكن المسئولين أصروا على ذلك ، فقاموا بتفتيشه ، وعُثر معه على ٢١٩٠ ساعة !!

∞ ∞ ∞ ∞

مما لا شك فيه أن عدد محاولات التهريب التى تمت فى الخفاء يعتبر كبيراً جداً بالنسبة لعدد محاولات التهريب التى تم الكشف عنها .

ومن الغريب أنه فى محاولات التهريب التى لم ينجح بعض الدبلوماسيين فى الاحتفاظ بسريتها ، بعد انكشاف أمرهم ، لم يعاقبوا أبداً كغيرهم من المهربين ، ولم تُصادر حتى بضائعهم المهربة . وإن كان فى بعض الحالات القليلة قامت حكومة هؤلاء الدبلوماسيين بخلع الحصانة عنهم لما جلبوه من فضيحة لبلادهم .

◀ **_المُهرِّب المحترف :_**

فى سنة ١٩٥٤ ، تم إحباط محاولة تهريب قام بها دون لويس دى المارجو ، سفير كوبا فى مصر ، حين حاول تهريب مبلغ ضخم من المال والمجوهرات فى طريقه خارج مصر ، لكن سلطات المطار استوقفته أثناء سفره وأصرت على تفتيش حقيبته بعد أن اشتبهت فيه من قبل عدة مرات ، كان يقوم خلالها بالفعل بتهريب بضائع ونقود خارج البلاد . ولم يكن أمام دى المارجو بعد انكشاف أمره إلّا أن يدعى الجهل ، فقال إنه كان يعتقد أن من حقه السفر بمثل هذه الأشياء خارج البلاد ! ولم توقع أى عقوبة على دى المارجو ، لكن قامت حكومة كوبا بعد ذلك برفع الحصانة عنه ، بعد أن بدا للجميع اشتغاله بمهنة التهريب أكثر من اشتغاله بالدبلوماسية !

لكنه فى محاولات أخرى للتهريب ، مرّت الأمور كأن شيئاً لم يكن ، وظل الدبلوماسى المشبوه محتفظاً بمنصبه وحصانته .

فقبل تلك السنة فى سنة ١٩٥٣ ، حاول إدواردو أُرتيجا ، سفير أورجواى ، فى بروكسل ، تهريب بعض الأحجار الكريمة خارج إنجلترا فى حقيبته الدبلوماسية ، والتى بلغ ثمنها فى ذلك الوقت حوالى ٤٠ ألف دولار .

وبالرغم من انكشاف تلك المحاولة لم يلق أرتيجا أى عقاب ، وظلّ محتفظاً بحصانته .

الممر السّحرى لتهريب المخدرات

◀ **المثلث الذهبى :**

لسنين طويلة مضت ، كان معظم الهيروين الذى يصل للغرب ، بما فى ذلك أمريكا ، يأتى من منطقة غنية بشجيرات هذا المخدر توجد فى الجنوب الغربى لآسيا والتى يطلق عليها « المثلث الذهبى » (Golden Triangle) ، ثم يتم معالجة وتنقية هذا الهيروين الخام فى معامل خاصة لذلك تتركز فى مدينة مرسيليا الفرنسية ، ثم يتم توزيع الهيروين من مرسيليا إلى أوروبا وأمريكا . لكنه فى السنوات الأخيرة ، ونتيجة لإحكام الأمن والمراقبة على هذه المناطق ، ظهر مصدر جديد لجلب الهيروين إلى الغرب ، هذا المصدر هو ما يطلق عليه « الهلال الذهبى » (Golden Crescent) ، وتشمل هذه المنطقة الغنية بالهيروين الخام عدة مناطق تتركز فى باكستان وأفغانستان وأجزاء من الهند وإيران . ويتم تنقية الهيروين الخام من هذه المصادر فى معامل خاصة لذلك فى باكستان والهند ، بدلاً من معامل مارسيليا ، ويتم بعد ذلك نقل الهيروين المنقى إلى أمريكا وأوروبا خاصة بريطانيا حيث توجد سوق رائجة له .

وتدل إحصائيات رجال مكافحة المخدرات على أن إنتاج هذه المنطقة من الهيروين هو إنتاج وفير للغاية ، فتقدر كمية محصول الهيروين الخام الذى تم حصده فى باكستان فقط فى سنة ١٩٨٤ بحوالى ٥٠ طناً والذى يستخرج منه أكثر من خمسة أطنان من الهيروين النقى ، هذا إلى جانب ما تنتجه المناطق الأخرى من كميات هائلة .

ويمكنك الآن تصور مقدار الثراء الفاحش الذى يتمتع به الزارعون لهذا المخدر فى هذه المناطق الفقيرة من العالم ، والذى أمكنهم من إسكات أى

صوت أو جهة مسئولة قد تتعرض لهم ، فقد أصبح أمر زراعة هذا المخدر وتنقيته أمراً ميسوراً لهم . ولكن أصعب ما يواجه هؤلاء التجّار هو توزيع بضاعتهم لأسواق الغرب ، فهم دائماً يبحثون عن وسيلة سهلة ومأمونة ، ولكن ما هى هذه الوسيلة ؟

إنها فى معظم الأحيان الحقيبة الدبلوماسية .. فجواز السفر الدبلوماسى هو الممر السحرى لهذه التجارة عبر البلاد ، فهو لا يسمح لأى من المسئولين فى المطار بتفتيش حقائب صاحبه . كذلك فمن حق الدبلوماسى (حسب اتفاقية فيينا) أن يمر بصناديق أو عبوات ضخمة لا يمكن فحصها بأى حال من الأحوال إذا خُتمت بالختم الدبلوماسى ـ حتى إذا شك أى مسئول فى محتوى هذه العبوات ـ فالقانون لا يسمح له بفتحها ، وإنما يمكنه إعادتها مرة أخرى إلى بلدها الأصلى . ومن ناحية أخرى ، تعتبر عقوبة جالبى المخدرات فى معظم الأحيان هى عقوبة بالغة للغاية ، قد تصل إلى الإعدام . أما بالنسبة لجالب المخدرات الذى يتمتع بالحصانة الدبلوماسية فقد لا تتعدى العقوبة أكثر من فصله من السلك الدبلوماسى وحرمانه من الحصانة الدبلوماسية !!

كل ذلك ساعد على إقبال بعض الدبلوماسيين عاماً وراء عام على الاشتراك فى هذه اللعبة السهلة والمربحة جداً جداً لهم عن أى عمل آخر يقومون به !!

∞ ∞ ∞ ∞

◄ شحنة هيروين بمبلغ ١٠٠ مليون دولار !

فى مطار كيندى بنيويورك ، وفى مساء ٢٥ مايو ١٩٨٥ ، توقفت الطائرة القادمة من نيودلهى ـ بالهند ـ ومضى ركاب الطائرة إلى صالة التفتيش بالمطار إلّا راكباً واحداً لم تفحص حقائبه ، إنه لودوفيكس فاستينا

فوندت ، سكرتير السفارة البلجيكية بنيودلهى والذى يحمل جواز سفر دبلوماسياً ، فمضى لودوفيكس بحقيبة خضراء كبيرة الحجم عليها ختم من السفارة يحرم فتحها فى المطار ، وتوجه بها إلى الحجرة رقم ٢٠٧ فى فندق ماريوت بالمطار . وبالحجرة كان فى انتظاره شخصٌ آخر ، سلّمه لودوفيكس الحقيبة الخضراء ، فقام الرجل بفتحها ، وأخرج منها ستة أكياس كبيرة كُتب على كل منها عبارة « سفارة بلجيكا » . كانت تحتوى هذه الأكياس على ٢٢ رطلاً من الهيروين الصافى والذى يبلغ ثمنه حوالى ١٠٠ مليون دولار !!

وبالطبع كان لودوفيكس فى عجلة من أمره ، فكان يريد أن يقبض ثمن مهمته وينصرف سريعاً ، لكن الرجل أشار عليه أن يأتى غداً إلى نفس الحجرة لتسلم المبلغ المتفق عليه وهو ١٠٠ مليون دولار ، وكانت آخر عبارة قالها لودوفيكس لذلك الرجل : «لا تنس التخلص من الأكياس بعد استخراج ما بها» .

وفى اليوم التالى ذهب لودوفيكس للفندق لكنه لم يجد المال فى انتظاره ولكن كان فى انتظاره رجال الشرطة ، فكان ذلك الرجل الذى قام لودوفيكس بجلب الهيروين إليه هو عميل سرى لدى جهاز مكافحة المخدرات الأمريكى !.

ووقع لودوفيكس فى الفخ الذى نصبه له رجال مكافحة المخدرات دون أن يدرى أن بعض أفراد شبكته قد فضحوا أمره بعد أن تم القبض عليهم فى الهند .

وفى هذه الحالة لم تستطع الحصانة الدبلوماسية التى يتمتع بها لودوفيكس من حمايته فهو الآن على أرض أمريكا خارج حدود حصانته ، فأصدرت المحكمة حكمها بحبس لودوفيكس لمدة ست سنوات .

وبعد ذلك الحادث بعدة شهور استطاع رجال مكافحة المخدرات

القبض على مجموعة أخرى من المهربين بينهم ستة رجال من السلك الدبلوماسى ، مما أثار انتباه الكثير من المسئولين إلى خطورة هذا الأمر ، وعلى رأسهم المدعى العام للبلاد الذى أعلن فى أحد تصريحاته عن ضرورة إيجاد تعديل قانونى يعطى الحق للسلطات فى التحرى عما يحمله الدبلوماسيون أثناء سفرهم ، بعد أن صارت الحقيبة الدبلوماسية خطراً يهدد أمن المجتمع وسلامته .

وبالرغم من ذلك لم يتم إجراء أى تعديل ، واستمرت الحقيبة الدبلوماسية وعاءً سهلاً لنقل المخدرات والسموم إلى داخل البلاد .

∞ ∞ ∞ ∞

◀ جناب السفير يرأس شبكة دولية لتجارة المخدرات !!

فى طوكيو ، وفى سنة ١٩٨٤ ، تمكن البوليس اليابانى من القبض على أحد تجار المخدرات وبحوزته ٥٨ كيلو جراماً من الهيروين المهرب من منطقة الهلال الذهبى بباكستان . وقد أسفرت التحقيقات أن ذلك المهرب هو عضو فى شبكة دولية لتجارة المخدرات بعضها من اليابانيين والبعض الآخر من جنسيات أخرى .

وبعد مضى ثلاثة أسابيع على ذلك الحادث ، اتضح من التحقيقات أن تلك الشبكة استطاعت تهريب كمية من الهيروين تبلغ حوالى ١٨١ كيلو جراماً إلى اليابان فى الفترة بين أكتوبر ١٩٨٣ ويناير ١٩٨٤ ، والتى يبلغ قيمتها حوالى ٣٦ بليون ين يابانى وهو ما يزيد عن ٢٠٠ مليون دولار .

كما دلت التحريات على أن هذه الشبكة يتكون أعضاؤها من بعض اليابانيين والكوريين والتايوانيين ، وكانت المفاجأة أن رئيس هذه الشبكة الكبيرة هو سفير جمهورية دومينيكان فى تايوان !!

وقد أعلن البوليس اليابانى أن السفير المتهم فى ذلك الحادث كان كثير

السفر بين تايوان واليابان وأنه كان يحمل فى كل مرة يسافر فيها عدداً كبيراً من الحقائب والتى لم تخضع أبداً للتفتيش لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية !

كما أعلنت التحريات عن مزيد من المفاجآت ، ففى ١٩ يوليو تمكن البوليس فى تايوان ، بناء على المعلومات التى وصلت له من البوليس اليابانى ، من ضبط مصنع لمعالجة الهيروين ، وتم اعتقال اثنى عشر فرداً يعملون به ، ستة منهم من كوريا ، وأربعة من تايوان ، واثنان من اليابان ، وكانت مفاجأة أخرى أن نفس السفير السابق هو صاحب ذلك المصنع !.

وكان أحد هؤلاء اليابانيين الذين تم اعتقالهم ، ويدعى « شو » ، هو الوحيد الذى كان يعرف اسم السفير الحقيقى حيث كان يقوم بمرافقته أثناء رحلاته لجلب الهيروين من باكستان ، ثم يقوم شو بتوزيعه على تجار اليابان وبالطبع لم يتمكن البوليس من اعتقال السفير لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية ، والذى رفض تماماً الاعتراف بتورطه فى إدارة هذه الشبكة بالرغم من ثبوت إدانته ، فقد أعلن أن كل هذا الأمر هو مجرد مؤامرة تستهدف الإطاحة به !!

لكن حكومته ، قامت فيما بعد بعزله من منصبه ورفع الحصانة عنه .

∞ ∞ ∞ ∞

◄ *القبض على الصغار والإفراج عن الكبار !*

فى سنة ١٩٨٠ ، تم القبض على الباكستانيين : محمد نصار ـ ٢٨ سنة ـ وحزب الله خان ـ ٢٦ سنة فى شقتهما بميريلاند وبحوزتهما أربعة أرطال ونصف من الهيروين النقى القادم من منطقة الهلال الذهبى بباكستان والذى تقدر قيمته بمبلغ ٢٨ مليون دولار .

وقد اتضح من التحقيقات أن لكل من الباكستانيين أكثر من جواز

سفر ، وأكثر من اسم وأنهما كثيرا السفر داخل الولايات المتحدة كما اتضح أنهما يعملان لحساب بعض الأفراد الذين يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية وهم على وجه التحديد ع . ع سكرتير أول سفارة إحدى دول غرب أفريقيا بواشنطن وب . ب سكرتير ثان لنفس السفارة ، حيث يقوم السكرتيران السابقان باستغلال حصانتهما الدبلوماسية فى جلب الهيروين من باكستان إلى أمريكا داخل حقائبهما الدبلوماسية .

وقد تم اعتقال الباكستانيين بعد ضبطهما ، لكن لم تستطع السلطات إلقاء القبض على الدبلوماسيين المذكورين لتمتعهما بالحصانة الدبلوماسية ، إلّا أن حكومتهما قد أصدرت قراراً فيما بعد برفع الحصانة عنهما .

∞ ∞ ∞ ∞

◀ *كمين لتاجر المخدرات الدبلوماسى ..*

فى فبراير ١٩٨٦ ، استطاع أحد المتنكرين من رجال مكافحة المخدرات الاتفاق مع أحد التجار على جلب شحنة من الهيروين من كولومبيا إلى أمريكا مقابل مبلغ مليون دولار . هذا التاجر هو كابتن إيتيين بويرينفين وهو واحد من خمسة أعضاء يرأسون بلدة سورينام ، وهى مقاطعة هولندية صغيرة بجنوب أمريكا .

وقد اتفق بويرينفين ، والبالغ من العمر ٢٩ عاماً مع رجل مكافحة المخدرات المتنكر على تهريب تلك الشحنة من كولومبيا إلى أمريكا عبر سورينام على أن تُحمل هذه الشحنة داخل حقائب دبلوماسية وباستخدام الخطوط الجوية التابعة لبلده كوسيلة انتقال .

وفى ٢٤ مارس وفى ولاية ميامى الأمريكية تقابل بويرينفين مع رجل مكافحة المخدرات ليسلمه جزءاً من المبلغ المتفق عليه قبل إنهاء المهمة .

وفى ذلك الاجتماع تمكن رجال الشرطة من القبض على بويرينفين واثنين آخرين من أعضاء شبكته بتهمة الشروع فى جلب مخدرات إلى البلاد .

وبالطبع سارع بويرينفين إلى الاحتماء فى حصانته الدبلوماسية ، كما أعلنت حكومة سورينام أن اعتقال بويرينفين ربما يؤدى إلى أزمة فى العلاقات بينها وبين حكومة واشنطن ، لكن المجلس الفيدرالى أصر على اعتقال بويرينفين بحجة أنه تم إدانته على أرض أمريكية مما يسقط حقه فى الحصانة الدبلوماسية ، كما اتهم حكومة سورينام بالإتجار فى المخدرات لتدعيم اقتصادها بطريقة غير شرعية ، حيث بلغت قيمة هذه الشحنة ملايين الدولارات .



المهرِّبون الحقيقيون للآثار

◄ الماضى المسروق !

تهريب الآثار وتهريب المخدرات كلاهما من أهم وأخطر أنواع التهريب .

ويتركز مهربو الآثار فى دول العالم الثالث حيث يستغلون فقره وجهله بما لديه من آثار وتحف نادرة فيهربون بها للغرب متى حانت الفرصة ، حيث تجد فى الأسواق الغربية إقبالاً شديداً عليها لما تحمله من فن بدائى فريد .

وتمثل الحقيبة الدبلوماسية فى هذا الأمر الوسيلة المأمونة لنقل هذه الآثار وتهريبها للخارج .

ويُذكر على لسان جون كونى ، مدير متحف كليفيلاند ، فى حديث إلى أحد الصحفيين ، أن ٩٥٪ من آثار الولايات المتحدة جاءت مهربة إليها !

ولا يمكن بأى حال من الأحوال تقدير كمية ما تم تهريبه من الآثار وعدد الحقائب الدبلوماسية التى ساهمت فى عمليات التهريب ، فتهريب الآثار عملية قديمة ومستمرة على الدوام منذ سنين طويلة حتى الآن ، بل يمكن القول أننا نواجه مستقبلاً قد يخلو منه ما يحفظ لنا ماضينا !، فسرقة الآثار ليست مجرد سطو على تمثال أو لوحة فنية لكنها فى الحقيقة سطو لمعالم حضارات الشعوب بما تحمله من فكر وأسرار وقيمة تاريخية لا تعوض بمال .

وفى كتاب « الماضى المسروق » لكارل ماير ، يذكر المؤلف أن الرجل

الدبلوماسى هو المتهم الأول فى أغلب سرقات التحف والآثار وقد وصفه « بالجمّاع » ، أى الذى يقوم بجمع الآثار من هنا وهناك أثناء مهمّاته ، ليمضى بها خارج الحدود داخل حقيبته الدبلوماسية أو ربما يقوم ، بدلاً من ذلك ، بمساعدة أفراد آخرين فى عملية التهريب .

كما ذكرت صحيفة نيوزويك تحت عنوان « المهربون الحقيقيون » : أن المهربين الحقيقيين للآثار هم هؤلاء السادة المحترمون من بعض الدبلوماسيين وبعض الصحفيين الذين يمرون من الجمارك دون تفتيش .

وبالرغم من أن معظم دول العالم الثالث لديها قوانين جيدة تضمن سلامة الحفاظ على آثارها وتضع عقوبات بالغة لكل من يحاول السطو عليها ، إلّا أنها لا تفعل إلّا القليل بحيث توقف التدفق المستمر لسرقة آثارها إلى متاحف الغرب .

ففى الفترة بين سنة ١٩٧٧ وسنة ١٩٧٩ تم تسجيل ثلاثة آلاف حالة سرقة آثار فى الهند ! ولم تنجح السلطات فى الكشف إلّا عن عشر حالات فقط ، ولم تحاول بذل أى مجهود آخر فى التحرى عن باقى السرقات وانتهى الأمر عند هذا الحد !!..

◄ *أكبر عملية سطو للآثار فى التاريخ !..*

من أشهر سرقات الآثار فى العالم التى تمت باسم الحصانة الدبلوماسية هى تلك السرقة التى قام بها عالم الآثار الأمريكى إدوارد هربرت ثومبثن والتى قام بها منذ بداية سنة ١٩٠٠ على فترات متتالية سرق خلالها معظم محتويات بئر مقدس بمنطقة تشثن إتاز فى شمال يوكاتان الوسطى بالمكسيك .

وتمثل تلك المنطقة أحد مراكز الحضارات المكسيكية السالفة « حضارة مايان » والتى يرجع تاريخها إلى الفترة بين سنة ٨٠٠م حتى منتصف

القرن الثالث عشر ، حيث كان المكسيكيون السذج فى تلك الفترة يُضحُّون فى سبيل آلهتهم المزعومة بتغطيس بعض الأشياء ، أو ربما بتغطيس بعضهم ، فى ذلك البئر العميق !!. فاستطاع ثومبثن أن ينتشل معظم محتويات ذلك البئر والتى كان معظمها من الذهب والأحجار الكريمة والنحاس والمنسوجات ، إلى جانب بعض العظام البشرية .

وقد ساعد ثومبثن فى مهمته بعض الأصدقاء من ذوى النفوذ والثراء والذين يعملون جميعهم بمتحف بيابودى التابع لجامعة هارفارد ، والذين قاموا من قبل بتمويل أولى رحلات ثومبثن إلى المكسيك فى سنة ١٨٨٥ فى مهام أخرى غير مشروعة ، أمّا أثناء تلك السرقة الكبرى فقد استطاعوا بنفوذهم أن يلحقوا ثومبثن بالسفارة الأمريكية بالمكسيك حتى يتمكن أن يجلب إليهم ما يشاءون من آثار على نطاق أوسع فى رحاب حصانته الدبلوماسية .

وصل ثومبثن إلى منطقة البئر وفى سنة ١٩٠٤ بدأ يحفر فى الخفاء للوصول إلى ما يحويه البئر من آثار نادرة ، واستمر الحفر والتنقيب حتى سنة ١٩١١ !، استطاع خلال تلك الفترة أن يحصل على معظم محتويات البئر ، والتى بلغ عددها ثلاثة آلاف قطعة أثرية من مختلف الأشكال ! ، قام ثومبثن بإرسالها إلى رفاقه فى جامعة هارفارد بواسطة الحقيبة الدبلوماسية ، وظلت تلك الآثار المهربة مستترة تماماً لا يراها أحد حتى سنة ١٩٢٦م حين تم القبض عليه فى محاولة أخرى لتهريب الآثار فبدأ أمره ينكشف .

وفى سنة ١٩٤٤م أعلنت المحكمة العليا فى المكسيك أن ثومبثن بالرغم من تلك الجريمة الكبرى فهو لم يخرق القوانين المكسيكية ، فوقت حدوث تلك السرقة لم يكن هناك قانون للبلاد يحمى تلك الآثار ويعاقب من يسطو عليها !!..

وقام متحف بيابودى الذى ضم كل تلك الآثار ضمن معروضاته بعد ذلك ، بإرسال جزء منها إلى المكسيك على سبيل التذكار وربما السخرية أيضاً ..!

◄ سطو آخر على آثار قبرص :

كان أول مدير لمتحف مترو بوليتان للفنون فى نيويورك هو جنرال لويجى بالما دى سيسنولا . وبعد الحرب الأهلية فى أمريكا تولى الجنرال منصب قنصل أمريكا فى قبرص ، والتى كانت فى تلك الفترة جزءاً من الإمبراطورية العثمانية . وبدون أى تصريح من السلطات التركية راح دى سيسنولا ينقّب فى أماكن متعددة من الجزيرة ، واستطاع أن يحصل على ٣٥٥٧٣ قطعة أثرية نادرة ، باعها جميعاً إلى متاحف الغرب .

وأثناء تلك الفترة كانت السلطات التركية قد بدأت تُدرك قيمة ما تحويه قبرص من آثار نادرة قد تكون مطمعاً لبعض المهربين ، فحرّمت خروج أى قطع أثرية خارج حدود قبرص . لكن دى سيسنولا كان قد عَلِمَ بهذا النبأ قبل أن توضع صيغته فى منشور رسمى يوزع على مختلف الجهات ، فقام على وجه السرعة بتهريب كل ما جمعه إلى الغرب داخل الحقيبة الدبلوماسية . وإن كان أمر تلك السرقة قد انكشف فيما بعد مما أنهى مستقبله الدبلوماسى ، إلّا أنه ضمن له مستقبلاً آخراً بما جمعه من أموال طائلة ، كما عيّن بعد ذلك مديراً لمتحف المتروبوليتان للفنون فى سنة ١٨٧٩ !.

□ □ □

أغرب حالات التهريب

◀ *تهريب وزير المواصلات داخل حقيبة دبلوماسية !!*

ربّما تكون أغرب محاولة تهريب استخدمت فيها الحقيبة الدبلوماسية ، المعفاة دائماً من أى فحص أو تفتيش ، هى تلك المحاولة التى كانت تتعلق بوزير المواصلات النيجيرى السابق ـ أُمارو ديكّو .

ففى تلك المرّة لم تحمل الحقيبة الدبلوماسية مخدرات ولا آثاراً ولا مجوهرات وما إلى ذلك ، وإنّما كانت تحمل إنساناً على قيد الحياة !!

حيث وُضع ديكو داخل قفص مغلق يحمل هذا العنوان « إلى وزير الشئون الخارجية ـ جمهورية نيجيريا ـ لاجوس ـ مبعوث من لندن فى مهمة رسمية » .

وديكو هو زوج ابنة الرئيس النيجيرى شاجارى الذى أطاح برئاسته الانقلاب العسكرى فى نيجيريا فى ديسمبر ١٩٨٣ . وكان ديكو واحداً من المطلوب القبض عليهم ، بعد تطهير نظام الحكم ، بسبب انحرافاته وتبديده لأموال البلاد .

وسريعاً وبعد حدوث الانقلاب استطاع ديكو الفرار خارج حدود نيجيريا ومنها إلى أمستردام وأخيراً استقر فى لندن، فى إحدى ضواحيها حيث يمتلك منزلاً أنيقاً اشتراه بما يعادل ٦٠٠ ألف دولار .

ولكن لم ينعم ديكو كثيراً بالفرار من نيجيريا ، فاستطاعت السلطات النيجيرية اقتفاء أثره ولم يبق أمامها إلّا القبض عليه وإعادته مرة أخرى للبلاد والزج به إلى السجن .



أمارو ديكّو .. وزير المواصلات النيجيرى السابق، الذى استطاع رجال مطار « ستانستد » الكشف عنه داخل حقيبة دبلوماسية ، أثناء محاولة تهريبه من انجلترا إلى نيجيريا فى يوليو ١٩٨٤ .

ففى ٥ يوليو سنة ١٩٨٤ خرج ديكو من منزله للقاء أحد الصحفيين لكنه فوجيء بعربة ضخمة تلاحقه وسريعاً ما توقفت العربة وخرج منها مجموعة من النيجيريين من قِبَل الحكومة النيجيرية وحاولوا القبض عليه، لكنه حاول بمفرده الاشتباك معهم والفرار منهم وبالتأكيد فشل فى ذلك، فسريعاً ما سقط على الأرض بلا حراك مصاباً بإصابات شديدة .

والآن لم يبق أمام الرجال إلّا نقله إلى نيجيريا .. ولكن كيف ؟

ففى أحد الصناديق الضخمة المجهزة وُضع ديكو المصاب، بعد إعداده لرحلة السفر، حيث التفت حول أجزاء كثيرة من جسمه الأربطة الجراحية لتضميد جراحه وامتدت إلى ساقه أنبوبة تحمل محلول الجلوكوز وغيرها من الإسعافات، إلى جانب حَقْنه بمادة مسكنة ومنومة، فبدا ذلك الصندوق وكأنه مستشفى صغير متحرك !!

ولكن لحسن حظ ديكو اشتبه رجال التفتيش فى محتويات الصندوق لعدة أسباب منها انبعاث رائحة الدواء من داخله، وعدم استيفائه الشروط الكاملة حتى يصبح حقيبة دبلوماسية بالفعل؛ فكتبت رقعة العنوان على ظهر الصندوق بخط اليد ودون ختم رسمى من السفارة . وبالرغم من أن ايدن ــ المسئول عن تلك المهمة ــ قد كشف للمسئولين عن جواز سفره الدبلوماسى وتمتعه بالحصانة، إلّا أن رجال التفتيش أصروا على فتح الصندوق للتحرى عمّا بداخله، وتم ذلك بالفعل بعد حضور بعض أعضاء السفارة حتى يأخذ الأمر صورته الرسمية، فكانت مفاجأة مذهلة لم يتوقعها المسئولون أبدا حين شاهدوا ديكو فى ذلك الوضع الغريب !، بل والأغرب من ذلك أنه كان برفقة صندوق ديكو صندوق آخر حُمّل أيضاً برجلين آخرين كان مطلوب القبض عليهما هما الآخران وترحيلهما خارج لندن لنيجيريا !.

وانتهى الأمر بالقبض على الجميع حتى الرجال الدبلوماسيين النيجيريين . وقد أحدث ذلك توتراً شديداً فى العلاقات بين لندن ولاجوس ، لكنها سريعاً ما عادت مرة أخرى لمجراها الطبيعى لوجود مصالح مشتركة بين البلدين خاصة أن نيجيريا من الدول الغنية بالبترول .

وكانت فرحة ديكو بالغة بانكشاف تلك الحيلة على يد المسئولين الإنجليز ، فقد نجا من عذاب أليم كان ينتظره فى بلده ، فراح يثنى على المسئولين الإنجليز ويؤكد أنه كان من الممكن جداً أن تتم عملية تهريبه فى ذلك الصندوق عبر حدود بلاد أخرى كثيرة ، دون أن يشك أحد فى الأمر ..

∞ ∞ ∞ ∞

◀ *صُراخ من داخل إحدى الحقائب فى مطار روما !*

حالة أخرى شهيرة استخدمت فيها الحقيبة الدبلوماسية لتهريب أشخاص ، وإن لم تنجح محاولة التهريب فى هذه المرة أيضاً .

ففى مطار فيوميسينو ـ روما ، تم الكشف فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٤ عن حالة أخرى مشابهة لحالة ديكو . إذ سَمِعَ رجال التفتيش صوت صراخ ينبعث من داخل حقيبة كبيرة كُتب عليها « حمولة دبلوماسية » ، وكانت موجّهة إلى وزير الخارجية فى إحدى الدول الأفريقية برفقة اثنين من أعضاء سفارة تلك الدولة فى روما .

وعند سماع هذا الصراخ أصر رجال التفتيش بالمطار على فتح الحقيبة للتحرى عمّا بداخلها ، فكانت مفاجأة لهم حيث وجدوا رجلاً محشوراً داخل الحقيبة ومكبلاً بالأربطة !، قدّم نفسه فيما بعد للمسئولين باسم جوزيف دهام ، عالم اللغات ، والمغربى الجنسية ، وبعد مضى يومين اتضح للمسئولين غير ذلك بعد التحرى عن شخصيته ، فكان اسمه الحقيقى

موردیكى لوك وهو إسرائيلى الجنسية ويعمل مترجماً فى سفارة تلك الدولة بروما ، وقد تم اختطافه من على أحد مقاهى روما فى ١٦ نوفمبر ـ من نفس السنة ، وربما كان على حق فى إخفاء جنسيته الحقيقية فى تلك الفترة الحرجة بين تلك الدولة الأفريقية وإسرائيل .

ففى سنة ١٩٦١ ، استطاع لوك أن يدخل تلك الدولة الأفريقية وأن يعيش بها وقد عرف خلال تلك الفترة بسلوكه المناهض لدولة إسرائيل ، بل استطاع من خلال ميكروفون الإذاعة أن يشن حملة دعاية ضد الحكومة الإسرائيلية ، ذلك هو كل ما استطاع المحققون معرفته عن هوية ذلك الرجل المختطف .

وأخيراً انتهى الأمر بترحيل لوك إلى إسرائيل ، بناء على طلب الحكومة الإسرائيلية ، وذلك لاتهامه بالتجسس لحساب الدولة الأفريقية . أما عضوا السفارة فتم القبض عليهما بتهمة خطف إنسان ، ولكن سريعاً ما تم إطلاق سراحهما بعد أن أعلنا عن تمتعهما بالحصانة الدبلوماسية .

وقد ذكر متحدث عن سفارة بلدهما فى روما تعليقاً على ذلك الحادث قائلاً : « إننا لا ندرى أى شىء عن هذا الموضوع » ، واستمر السبب الحقيقى وراء ذلك الحادث الغريب غامضاً تماماً !!



.. وأيضاً تهريب السلاح

◄ من يوقف هذا الخطر الداهم ؟

مشكلة أخرى خطيرة سببتها الحقيبة الدبلوماسية المنيعة ، وهى دخول الأسلحة النارية إلى البلاد . ويُعد حادث مقتل ضابطة الشرطة إيفون فليتشر ، هو أصدق مثل لهذه الحقيقة ، كما سيتضح .

ففى بريطانيا ، وخلال العشر سنوات الماضية تم الكشف عن خمس حالات اقتنى فيها الدبلوماسيون أسلحة نارية دون تصريح بذلك ، مما دفع مكتب الخارجية فى بريطانيا إلى التنبيه بين وقت وآخر على جميع الدبلوماسيين بحظر اقتناء أى أسلحة نارية أو محاولة الدخول بها إلى البلاد دون تصريح بذلك ، وإلّا أعيدت مرة أخرى إلى البلد القادمة منها .

ويذكر نيل بريتان رئيس شرطة متروبوليتان فى حديث لإذاعة BBC « إنى كرجل شرطة ذى خبرة طويلة أراهن أن معظم حقائب الدبلوماسيين تحتوى على أسلحة نارية » .

كما يذكر جون كارترايت ، أحد المحققين فى جرائم الدبلوماسيين : « لقد شهدت لندن عدة حوادث عنيفة خلال السنوات الماضية ، وإنى أستطيع أن أجزم أن معظم الأسلحة التى استخدمت فى تلك الحوادث جاء معظمها إلى البلاد بواسطة الحقيبة الدبلوماسية ، مما يستلزم وجود قانون يسمح بفحصها ، خاصة وأننا فى الوقت الحالى لدينا طرق فحص حديثة يمكن استخدامها فى دقائق ، كالفحص بالأشعة ، حتى نضمن خلوها من أى خطر قد يهدد أمن البلاد » .

وفى الحقيقة أن معظم دول العالم تحس بالخطر الذى قد تحمله الحقيبة الدبلوماسية بعد استغلال الحصانة استغلالاً سيئاً ، وبشكل واضح

وجرىء فى السنوات الماضية ، وذلك هو ما عبر عنه معظم وزراء خارجية الدول أثناء اجتماعاتهم ، مما أثار عدة اقتراحات لضمان خلو الحقيبة الدبلوماسية من أى شيء غير مشروع ، وفى نفس الوقت لا يتم التعدى بشكل مباشر على قانون فيينا الذى لا يجيز تفتيش الحقيبة الدبلوماسية إلّا عند الشك إلى درجة كبيرة فى محتوياتها وضرورة حدوث التفتيش فى صورة رسمية ، كما سبق أن ذكرت . من هذه الاقتراحات ، كان هناك اقتراح بتقسيم الحقيبة الدبلوماسية إلى قسمين ، يختص أحدهما بنقل الوثائق الخاصة بالمهمة ، أما القسم الآخر فيختص بنقل الأشياء الأخرى بحيث يخضع الجزء الأخير إلى الفحص بالأشعة . وهو اقتراح مقبول إلى حد ما لكنه لا يحقق الغرض بشكل أكيد ، فكما ذكر بعض المعارضين أنه يمكن للدبلوماسى أن يخفى ما يريد وسط الأوراق والملفات السميكة بحيث لا يمكن للأشعة أن تنفذ خلال هذا السمك الكبير لتكشف عمّا وراءه . كذلك اقترح البعض استخدام الكلاب لشم الحقائب ، وإن كان هذا الاقتراح لا يصلح للكشف عما بداخلها إلّا فى أحوال قليلة كالكشف عن المخدرات ، فهو من ناحية أخرى خرق مباشر لقانون فيينا الذى حرم ذلك .

كما عارضت بعض الدول حدوث أى تفتيش للحقيبة الدبلوماسية بصرف النظر عن قانون فيينا الذى يحرم ذلك ، لما فى ذلك من مهانة للرجل الدبلوماسى .

ففى منتصف سنة ١٩٨٤ قامت حكومة إحدى الدول الأسيوية بفحص جميع حقائب الدبلوماسيين بالأشعة بعد عدة حوادث شهدتها البلاد على يد مواطنى إحدى الدول المجاورة الذين استطاعوا تهريب عدد كبير من القنابل إليها بواسطة الحقيبة الدبلوماسية . وقد دعا هذا الأسلوب إلى اعتراض عالمى قامت به لندن محتجة على ذلك السلوك الذى يقلل من

مكانة الرجل الدبلوماسى الإنجليزى . وفى الحقيقة أنه خلال تلك الفترة تمّ إعادة حقيبتين دبلوماسيتين إلى لندن على فترات متلاحقة بعد أن رفض أصحابها إجراء أى تفتيش لهما ؟!

∞ ∞ ∞ ∞

◄ ***مصرع ضابطة الشرطة «إيفون» : «ضحية الحصانة الدبلوماسية» :***

يُعد حادث مقتل ضابطة الشرطة الإنجليزية إيفون فليتشر فى ١٧ أبريل سنة ١٩٨٤ أصدق مثال لتلك الجرائم التى انتشرت فى كثير من دول العالم بعد الحملة الإرهابية الواسعة التى سادت العالم وقادها متطرفون هنا وهناك مما أدى إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين انجلترا وغيرها من دول العالم التى ينتمى الإرهابيون إليها .

فأثناء قيام ضابطة الشرطة إيفون فليتشر وبعض الضباط الآخرين ، بدورية سلمية أمام إحدى سفارات تلك الدول بلندن ، فوجىء ضباط الشرطة والأهالى المقيمون بميدان السفارة بصوت رصاص ينطلق من إحدى نوافذ السفارة ، ولم تمض دقائق حتى سقطت إيفون فليتشر ملقاة على الأرض . وفى بادىء الأمر لم يصدق أحد من ضباط الشرطة أن تلك الطلقات هى طلقات عدوانية موجهة لهم ، حتى أنهم عندما رأوا زميلتهم الضابطة تسقط على الأرض ظنوا أنه ربما قد غشى عليها . لكن استمرت الطلقات تتوالى بطريقة عشوائية من داخل السفارة فأدرك الضباط أنهم قد صاروا هدفاً للرصاص المنبعث من داخل السفارة !

مضى زملاء إيفون فليتشر مسرعين إليها غير عابئين بما يجرى من حولهم ليتبينوا مدى إصابتها . لقد أصيبت المسكينة بطلق نارى نفذ إلى ظهرها ، ولم تمض دقائق حتى بدأت دماؤها تجرى هنا وهناك فى أرجاء الميدان ، وبدأت تغيب عن الوعى تماماً وسط جو من الذهول والدهشة من كل ما جرى .



ضابطة الشرطة إيفون فليتشر .. حين سقطت مصابة بطلق نارى فى الميدان الذى تقع به تلك السفارة بلندن .. وكان آخر ما نطقت به إيفون لزملائها «التزموا الهدوء» .

وكان آخر ما نطقت به إيفون لزملائها ضباط الشرطة الملتفين من حولها « هدئوا من أنفسكم » ، فهى كضابطة شرطة محترفة تدرك تماماً معنى الحصانة الدبلوماسية ، لم تكن ترضى لزملائها أن يتورطوا من أجلها فى الاشتباك مع أعضاء السفارة فهذا ليس من حقهم برغم كل ما حدث !!

جاءت عربة الإسعاف بعد عدة دقائق لتحمل إيفون فليتشر إلى مستشفى ويستمينستر ، وانتظر الجميع خارج غرفة العمليات لعل هناك أملاً فى إنقاذها ، لكن الوقت قد فات ، فاستمرت إيفون فى غيبوبتها ، حتى لفظت أنفاسها الأخيرة .

وفى موكب مهيب شيّعت جنازة إيفون فليتشر والتى حضرها الآلاف من زملائها ومن قادة ضباط الشرطة ومن عدد كبير من الأهالى ، والذين امتلأت صدورهم جميعاً بالأسف الشديد والحزن البالغ على هذه الفتاة التى راحت ضحية للحصانة الدبلوماسية .

ومضى نعش الفقيدة إلى مقره الأخير يحمل فوقه قُبّعة إيفون البوليسية ، والتى راح زملاؤها ينظرون إليها فى شجن ، فتتراءى أمام أعينهم صورة إيفون وذكرى أيام لا تنسى قضوها فى العمل مع زميلتهم المحبوبة ...

كان ذلك الحادث كفيلاً أن تقطع بريطانيا علاقاتها الدبلوماسية مع تلك الدولة التى انطلقت الطلقات من سفارتها بعد أن تحملت الكثير ممن ينتمون إليها ، فكان أشبه بالخاتمة لما سبقه من جرائم أخرى عديدة ، ضاقت لها الصدور .

ففى ٢٧ إبريل سنة ١٩٨٤ ، وبالتحديد فى الساعة التاسعة إلّا عشر صباحاً ، بدأ إخلاء تلك السفارة من أعضائها تمهيداً لعودتهم إلى بلادهم ، وذلك فى حضور مندوبين من ثلاث سفارات لمتابعة عملية الإخلاء .



الحزن البالغ تختّم على وجوه المشيّعين لجنازة إيفون فليتشر ، في ١٧ إبريل ١٩٨٤ ، وقد وضع زملاؤها قبعتها البوليسية على ظهر النعش .

وبدأ نقل متعلقات الدبلوماسيين إلى خارج السفارة ، وكانت تشمل أربع حقائب كبيرة ، أجْهَدت رجال الشرطة كثيراً فى نقلها من الداخل إلى السيارة ، وختمت تلك الحقائب جميعها بالختم الدبلوماسى ، مما لا يجيز فتحها أو التحرى عما بداخلها ، حسب معاهدة فيينا ـ بند ٢٧ ـ، وإن كانت محتويات إحدى الحقائب لم تكن مخفية تماماً عن الحاضرين ، فكانت تحتوى على البندقية التى قتلت بها إيفون فليتشر ، لكن لم يكن أيضاً من حق الحاضرين التحفظ على محتويات تلك الحقيبة ، التى أفرج عنها لتعود إلى بلادها من حيث أتت .

وفى الساعة الحادية عشرة صباحاً كان قد تم إخلاء المكان من الدبلوماسيين فى السفارة البالغ عددهم الثلاثين .

كما تم ترحيل عدد كبير من الطلبة المتظاهرين ممن ينتمون إلى تلك الدولة وعائلاتهم .

وفى مطار هيثرو ، بدأ الدبلوماسيون يتوافدون إلى داخل الطائرة لتمضى بهم إلى بلادهم دون عودة . وفى نفس الوقت كان قد بدأ إخلاء الدبلوماسيين الإنجليز من سفارة بريطانيا بتلك الدولة والبالغ عددهم الثلاثين ، ورحلوا جميعاً هم وعائلاتهم عائدين إلى بلادهم .

ومن المؤسف أنه عندما قام رجال الشرطة بعد ذلك بتفتيش السفارة التي انطلق منها الرصاص فى لندن ، وجد بها عدد كبير من المسدسات والبنادق وخراطيش الرصاص ، والتى وجدت واحدة منها تحت النافذة التى تم إطلاق النار منها على إيفون فليتشر . ومن المؤكد أن حقائب الدبلوماسيين كانت ممتلئة هى الأخرى بعدد كبير من تلك الأسلحة ، بحيث لم يبق بها مكان للمزيد ، فتركوها بالسفارة . ولكنهم بعد هذا يفاجؤون بصدور بيان من الدولة صاحبة السفارة يقول : «لقد قام البوليس الإنجليزى بمهاجمة السفارة وإطلاق الرصاص» وتضيع الحقيقة ، ويسكت الجميع عن القاتل الحقيقى لضابطة الشرطة إيفون فليتشر ..!!

سرقات فى وضح النهار !

فى أمريكا ، على الأخص ، ينتشر نوع آخر من جرائم بعض الدبلوماسيين ، وهو السطو على بعض معروضات المحال التجارية أثناء الشراء ، سواء كان ذلك بواسطة الدبلوماسى نفسه أو بواسطة أحد من أفراد عائلته ، بالرغم من اقتناء الدبلوماسى وعائلته بطاقات خاصة تمكنهم من شراء ما يشاءون دون دفع الضريبة المعتادة على ما يشترونه ، كغيرهم من المواطنين العاديين ، والتى تصل غالباً إلى ٩٪ من قيمة المشتريات .

ويحتل الدبلوماسيون من دول العالم الثالث والمجموعة الشرقية ، خاصة السوفييت ، المرتبة الأولى فى عدد هذه السرقات ، بالرغم من النداءات المتتالية التى توجّهها إدارة الولاية إلى سفارات هذه الدول بمنع أعضائها من ارتكاب هذه الأفعال المخجلة .

◄ فضيحة دولية بسبب سرقة «جاكتة» :

فى ٥ مايو سنة ١٩٨٦ وفى أحد محالّ نيويورك الشهيرة «الكسندرز» ، وقف حارس الأمن يرقب من بعد ذلك الرجل الذى راح يحوم فى قلق حول أحد معروضات المحل من الملابس ، ثم رآه وهو يحمل سترة غالية الثمن ويمضى بها ناحية الباب إلى الخارج ، دون أن يدفع ثمنها . عند تلك اللحظة ، استوقفه الحارس قبل أن يهم بمغادرة المحل ، وطلب منه التوجه معه إلى إدارة المحل لاتهامه بعدم دفع ثمن السترة ، فرد الرجل قائلاً : «ليس الأمر كما تظن .. إننى فقط أردت أن أتبين لون السترة فى ضوء النهار» ..!

ولكن كان من الصعب على الحارس أن يقتنع بهذا التبرير ، الذى كثيراً ما سمعه من رواد كثيرين أرادوا سرقة المعروضات ، فأصر على موقفه .

وتوجه سارق السترة مع حارس الأمن إلى الإدارة ، وتم استدعاء الشرطة ، وأجرى التحقيق معه ، فاضطر أن يعلن عن اسمه وشخصيته ، وللأسف كان ذلك الرجل هو س . خ سفير إحدى الدول الأسيوية فى أمريكا !!! الذى طلب على الفور ضرورة الإفراج عنه لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية . فقام رجل الشرطة بإجراء عدة اتصالات مع المسئولين للتأكد من شخصية ذلك الرجل وتمتعه بالحصانة الدبلوماسية كما يدعى ، فثبت ادعاؤه بالفعل ، ولم يجد المحقق بُدًّا من الإفراج عنه فى الحال ، بعد أن جاءته الأوامر بذلك .

ومضى س . خ حراً طليقاً ليترك وراءه فضيحة كبيرة سريعاً ما شمّت الصحف رائحتها فانتشر الخبر فى كل مكان ..

وكان لابد أن يواجه س . خ هذا الموقف المؤسف ، فراح يكذّب كل ما ادعته الصحافة . وأصدرت سفارته بياناً توضح فيه حقيقة ما حدث ، فادعت أن كُل ما نشر هو مجرد إشاعة كاذبة ، أراد بها بعض الخصوم إساءة سمعته والإطاحة به لأغراض سياسية ..!!

oo oo oo oo

◀ ***مستر إكس : اللص المحترف :***

من إحدى السرقات الشهيرة التى قام بها بعض الدبلوماسيين السوفييت ، تلك السرقة التى جرت بأحد المتاجر الكبرى بواشنطن سنة ١٩٨٣ .

حيث ضبط حرّاس «السوبر ماركت» ، من خلال الشاشات التليفزيونية ، أحد الرواد وهو يخفى بملابسه بعض الأشياء من بضائع المحل ، واستطاعوا تتبعه من خلال الشاشات وهو ينتقل من قسم لآخر ، حتى حظى بقدر كبير من المسروقات ، وحين تأهب للانصراف من المحل قاموا باقتياده إلى وحدة الأمن بالمحل فى انتظار قدوم رجال الشرطة . فى

تلك الأثناء بدأ يكشف الرجل عن مسروقاته ، والتى شملت : «حزامين» من الجلد و «مايوه» نسائى و «زُهْريّة» ، وبعض الأشياء الخفيفة الأخرى .

ذلك الرجل هو كومريد إكس أحد أعضاء السفارة السوفييتية بواشنطن!، والذى سريعاً ما تم إطلاق سراحه بعد التأكد من تمتعه بالحصانة الدبلوماسية .

أدى ذلك الحادث إلى توتر شديد بين المسئولين فى إدارة الولاية بعد أن نَفَذَ صبرهم ، فلم تكن تلك هى المرة الأولى التى يضبط فيها كومريد إكس متلبساً بسرقة المحال .

وفى نداء وجهته إدارة الولاية إلى السفارة السوفييتية تطالبها بأن يكف أعضاؤها عن هذا السلوك غير المحترم ، جاء فى ذلك النداء :

« إن إدارة الولاية تعتبر أن سرقة بعض البضائع من المحال هو سلوك لا يليق برجل دبلوماسى . وتود إدارة الولاية أن تلفت نظركم إلى أن هذا الحادث هو الحادث الأخير لسلسلة طويلة من حوادث أخرى متشابهة ضبط فيها الكثير من الدبلوماسيين السوفييت متلبسين بالسرقة . ونناشدكم باتخاذ أى خطوات إيجابية فى هذا الموضوع للكف عن هذه السرقات . ولن ينفذ صبرنا أبداً فى تكرير هذه النداءات ، حتى يتم حسم الموقف . ونرجو ، على وجه الخصوص ، إنذار كومريد إكس بأى عقاب ترونه ، بعد أن تعددت سرقاته بشكل واضح » .

وبالرغم من ذلك النداء وغيره من نداءات أخرى كثيرة ، لم تقم السفارة السوفييتية بأى خطوة إيجابية للحد من هذا السلوك الفاضح لأعضائها ، واستمر الحال على ما هو عليه ، وكأن شيئاً لم يحدث !

∞ ∞ ∞ ∞

من الملاحظ فى هذه السرقات « الدبلوماسية » أن الزوجات هن الأكثر دائماً فى ارتكابها من أزواجهن الدبلوماسيين .

فحسب تقرير لمكتب الخارجية ، تمّ الكشف عن ٤٢ حالة سرقة قامت بها زوجات الدبلوماسيين ، فى الفترة بين سنة ١٩٨١ وسنة ١٩٨٣ ، وما خفى كان أعظم ..

◀ *نزاع بين السوفييت والأمريكان على سرقة « شورت » !*

بعد الحادث السابق بأسبوعين ، ضُبطت زوجة أحد الدبلوماسيين السوفييت وهى تخفى «شورت» رجالى داخل معطفها ، بلغت قيمته ١٥ دولار ، وذلك أثناء خروجها من أحد متاجر واشنطن !

وفى مكتب الأمن بالمحل ، طالبها المسئولون بإبراز كوبون الشراء حتى يتأكدوا من خلوه من قيمة الأشياء المسروقة . فى تلك الأثناء كانت السيدة تمسك بالكوبون فى يدها ، وما أن طُلب منها ذلك حتى راحت تبتلعه !!. ومن الغريب أن تلك السيدة ، فى كل ذلك الوقت بعد ضبطها ، لم يبد عليها أى شىء من الإحراج أو الخجل !

كذلك لم تخبرهم السيدة بأنها زوجة لدبلوماسى ، ولكن استطاع أحد الحراس أن يدرك ذلك أثناء الحديث ؛ حين قامت بفتح حقيبة اليد ، فاستطاع أن يلمح بداخلها أحد البطاقات التى تدل على ذلك والتى سبق أن رآها مرّات عديدة من قبل .

تم إطلاق سراح السيدة بعد التأكد من تمتعها بالحصانة الدبلوماسية .

وفى نداء آخر وجهته إدارة الولاية إلى السفارة السوفييتية، جاء فى ذلك النداء :

إن إدارة الولاية تود أن تلفت نظركم إلى استمرار حدوث حالات سرقة جديدة من قبل أعضائكم ، بعد سلسلة طويلة من السرقات . وإننا نرجو

من السفارة أن تحزم هذا الأمر وتضع بعض العقوبات بحيث تمنع أعضاءها من ارتكاب سرقات أخرى .

إن تكرار هذه السرقات بشكل ملحوظ لا يُنفذ صبرنا فحسب ، لكنه أيضاً يعطى انطباعاً سيئاً عن السفارة السوفييتية» .

وقد أثار ذلك النداء نوعاً من السخط من طرف السفارة السوفييتية التى أعلنت عن احتجاجها لإلحاق التهم بأعضائها دون سماح إدارة الولاية باستقبال ممثلين عن السفارة حتى يتولوا الدفاع عن أعضائها المتهمين .

وصرحت إدارة الولاية تعليقاً على ذلك الاحتجاج قائلة : إنه لم يتم تحديد ميعاد من جهة السفارة لاستقبال هؤلاء الممثلين المذكورين !، ومن ناحية أخرى كانت كل حالات السرقة التى أبلغت عنها الإدارة ، مؤكدة تماماً ، حيث ضَبَطَ الحراس مرتكبيها وهم متلبسون بالسرقة ، علاوة على بعض الشهود من الحاضرين !

وفى الحقيقة ، أن ادعاءات السفارة السوفييتية، رغم انكشاف عدم صحتها ، كانت متكررة من وقت لآخر ، وتعطى الإحساس بمحاولة إثارة السخط على إدارة الولاية لتعسفها فى معاملة أعضائها !!

◄ عندما قال رئيس الشرطة للدبلوماسى السوفييتى :

«روح اشرب من البحر» ...!

فى ديسمبر ١٩٨٢ ، ضُبطت يلينا تاراسوفا زوجة أحد الدبلوماسيين السوفييت بالولايات المتحدة ، وهى تسرق بعض ملابس الأطفال من أحد متاجر باراموس بنيوجيرسى ، ولم تكن تحمل معها فى ذلك الوقت ما يدل على أنها زوجة دبلوماسى ، فاحتجزت فى مكتب الأمن حوالى ربع الساعة ، حتى تم التحقق من حصانتها الدبلوماسية .

بعد عدة أيام من ذلك الحادث ، ذهب سكرتير ثالث السفارة

السوفييتية إلى جوزيف ديلنى ، رئيس الشرطة فى باراموس ، وطلب منه ضرورة تقديم اعتذار للسفارة لاحتجاز رجاله لمسز تاراسوفا كل ذلك الوقت !

فالتفت ديلنى إلى الرجل بحدة ، وقال له وهو يحاول أن يضبط أعصابه : « إن ما فعله رجالى هو عين الصواب . نحن رجال شرطة محترفون ، وندرك تماماً ما يجب أن نفعله وما يجب ألّا نفعله ، ولن أقدم أى اعتذار إلى السفارة » . لكن الرجل ظل متمسكاً بموقفه ومصراً على أن ما فعله رجال ديلنى هو خطأ كبير فى حقهم يستلزم ضرورة الاعتذار وأمام إصراره ، بدأت لهجة ديلنى تزداد حدة ، فلم يعد يتحمل المزيد ، فصاح فى الرجل قائلاً : « لن أقدم أى اعتذار حتى لو انقلبت كل سيبيريا ... وروح اشرب من (ملح) البحر » ..

كان لذلك الموقف الباسل لديلنى فى مواجهة الدبلوماسى السوفييتى ، صدى كبير فى جميع أنحاء أمريكا ، وغطته معظم الصحف والمجلات . بل والأكثر من ذلك لُقِّب ديلنى « بالبطل الشعبى » ، وبدأت تنهال عليه آلاف الرسائل والبرقيات والتهانى ، وبَعَثَ بعض المعجبين بشجاعته إلى قسم الشرطة فى باراموس كمية من الملح تزن ١٣ رطلاً ، على سبيل الدُّعابة والإعجاب بعبارته القوية التى وجهها للدبلوماسى .

فى نفس الوقت ساندت باقى أجهزة الشرطة موقف ديلنى وأيدته وأبدت إعجابها الشديد به وتقديرها له لشجاعته .

وفى الحقيقة أن ديلنى قد استحق فعلاً لقب البطل الشعبى ، فلم يجرؤ أحد من قبل من بوليس نيويورك أن يتصدى لأحد من الدبلوماسيين ، كما فعل ديلنى ، رغم جرائمهم المتكررة ورغم انزعاج العديد من سكان المدينة من تصرفاتهم البذيئة ، وإحساسهم بالضيق والأسف لأن يُطلق لهم العنان على هذه الصورة ، فلا رقيب ولا محاسب لأعمالهم المنحرفة .



جوزيف ديلني .. رئيس الشرطة فى باراموس ـ نيوجيرسى ، والذى لُقب بالبطل الشعبى ، بعد أن صاح فى الدبلوماسى السوفييتى «روح اشرب من البحر» .. فى ديسمبر سنة ١٩٨٢ .

ويظهر فى الصورة ممسكاً بإحدى عبوّات الملح التى أرسلها له المعجبون على سبيل الدعابة .

لم يقتصر استغلال الحصانة الدبلوماسية بطريقة غير شرعية على بعض الدبلوماسيين وزوجاتهم بل استغلها أيضاً الأبناء أسوأ استغلال ، فارتكبوا جرائم عديدة ، وربما كان بعضها أخطر بكثير من جرائم آبائهم .

ففى واشنطن ، أجرى تحقيق مع ابن أحد الدبلوماسيين الأسيويين بتهمة سرقة سيارتين وسرقة أحد المتاجر !

لكنه تم إسقاط التهم بعد التحقق من حصانته الدبلوماسية .

◄ *دولارات مزيّفة فى يد الفتاة الفرنسية :*

فى حالات أخرى وصلت جرائم الأبناء إلى حد أخطر من ذلك بكثير ، كتلك الجريمة التى تورطت فيها ابنة إحدى الدبلوماسيّات الفرنسيات فى واشنطن .

ففى صيف ١٩٨٣ ، تم القبض عليها بتهمة ترويج دولارات مزيفة ، بعد أن أنفقت حوالى ٩٠٠ دولاراً منها فى المحلات المختلفة . ولحسن حظ الفتاة أنه تم القبض عليها خلال شهر من رحيل أمّها الدبلوماسية إلى فرنسا ، حيث يحقّ للابن فى هذه الحالة أن يظل محتفظاً بحصانته لمدة شهر كامل من بعد رحيل أبيه أو أمه المحصّن خارج البلاد لانتهاء مهمته بها . بناء على ذلك اتفقت السفارة الفرنسية مع إدارة الولاية على ألّا تتدخل خلال تلك الفترة لاستمرار تمتع الفتاة بالحصانة ، على أن تقوم الإدارة بترحيلها بعد ذلك خارج البلاد . ولكن لم يُنْهِ ذلك الاتفاق مشكلة الفتاة تماماً ، فقد كانت على وشك الزواج من مواطن أمريكى والاستقرار فى أمريكا ، ولكن فى نفس الوقت لم يكن سهلاً على إدارة الولاية أن تتسامح أو تنسى ما ارتكبته الفتاة . فتم الاتفاق على نوع من المقايضة بين الطرفين ، يقضى بالسماح للفتاة ، بعد انتهاء حصانتها وترحيلها إلى فرنسا ، أن تعود مرة أخرى إلى أمريكا وتستقر بها ، بشرط أن تدفع

للمحالّ التى اشترت منها بدولاراتها المزيّفة ، قيمة ما اشترته منها من بضائع ، وأن ترشد رجال المباحث عن مصدر تلك الدولارات المزيفة .

وعادت الفتاة مرة أخرى إلى أمريكا ، وحكمت المحكمة بالفعل ، بالسماح لها بالبقاء ، بعد أن أوفت بوعدها . وتم حفل زفافها إلى الأمريكى فى الميعاد المحدد .

oo oo oo oo

انتشرت أيضاً فى انجلترا سرقات بعض الدبلوماسيين لمعروضات المحالّ إلى حد كبير . فتشير إحدى إحصائيات مكتب الخارجية إلى أنه خلال العشرة سنوات ، بين سنة ١٩٧٤ وسنة ١٩٨٤ ، تم تسجيل ٢٤٠ حالة تلبس بالسرقة لزوجات الدبلوماسيين فقط !، واللّآتى تم إطلاق سراحهن لتمتعهن بالحصانة .

وتعتبر حالة زوجة السفير اليوغسلافى فى لندن نموذجاً بيّناً لهذا السلوك المخجل لبعض الدبلوماسيين وعائلاتهم . حيث استوقفها الحرّاس بعد خروجها من محل «ليبرتز» الشهير بلندن ، بعد أن خبأت بحقيبتها فستاناً لطفلة بمبلغ ١٠ دولارات ، ولم تقم بدفع ثمنه !. لكن سريعاً ما أُخلى سبيلها بعد أن تأكدوا من حصانتها . ولم يقم مكتب الخارجية ولا شرطة المدينة ، فى ذلك الوقت ، بإبلاغ السفارة أو زوج السيدة عن تلك السرقة فاعتبروها من «السرقات التافهة» .

oo oo oo oo

◄ *براكاش ميهروتر : رجُل الشرف والنزاهة :*

فى نفس تلك السنة حدثت سرقة أخرى من تلك «السرقات التافهة» ، لكنها أحدثت رد فعل كبير وغير متوقع .

كانت تتعلق تلك السرقة بابن المندوب السامى للهند ، «براكاش

ميهروتر » ، بالرغم من الثراء الفاحش الذى يعيش فيه الأب وابنه ؛ فقد سكنا قصراً من أفخم القصور بمنطقة كينسينجتن والذى بلغ ثمنه ٤ مليون دولار !.

فقام رافى ميهروتر ـ ابن المندوب الهندى ـ بدس بعض الأقلام والأدوات المكتبية فى حقيبته من أحد مكاتب لندن ـ ديلونز ـ والتى بلغ قيمتها ٣٠ دولاراً ، لكنه بعد أن مضى بها خارج المكتبة دون دفع ثمنها ، استوقفته حَارِسَةٌ متنكرة من حراس المحل ، واقتادته إلى مكتب الأمن . ولكن بعد وصول البوليس والتأكد من تمتعه بالحصانة ، أُطْلِقَ سراحه على الفور .

كان موقف براكاش ميهروتر تجاه ذلك الحادث مفاجأة للجميع ، إذ قام بعد ذلك مباشرة ، فى نوفمبر ١٩٨٤ ، بتقديم استقالته ، إيماناً منه بأنه لم يعد يصلح لمنصبه بعد تورط ابنه فى تلك السرقة ، والتى إن كانت من « السرقات التافهة » ، لكنها تتنافى تماماً مع المثل والأخلاق التى يجب أن يتحلى بها الدبلوماسيون وأصحاب السلطة !



احترس من : السيارات الدبلوماسية !..

◄ **منتهى الظلم ..**

فى يوم السبت ٢٠ من إبريل ١٩٧٤ ، كان على « دكتور أرثر روزينبوم » أن يستقل سيارته مبكراً للذهاب إلى عمله بمستشفى جامعة جورج واشنطن ، حيث يعمل رئيساً لقسم أمراض الحساسية ، حتى يتمكن من فحص المرضى الذين يتوافدون عليه بكثرة خاصة فى ذلك اليوم .

استقل دكتور «روزينبوم» سيارته فى السابعة صباحاً هو وزوجته الدكتورة « هالا براون » التى تعمل بنفس المستشفى . كانت معظم شوارع واشنطن غير ممتلئة بالسيارات فى ذلك الوقت ، فانطلق دكتور روزينبوم بسيارته فى مرونة ويسر . وعند ناصية شارع ٣٤ .

كانت إشارة المرور تضيء باللون الأخضر ، فاستمر فى قيادته فى أمان ، لكنه ما أن تجاوز ناصية الشارع بعدة أمتار حتى فوجيء بسيارة تأتى مسرعة للغاية من الاتجاه الجانبى غير عابئة بإشارة المرور الحمراء ، لتصدم سيارته بقوة ، فانحرفت سيارة روزينبوم بشدة لترتطم بشجرة على جانب الطريق ، توقفت بعدها عن الحركة ، بعد أن أصيبت بإصابات بالغة حولتها إلى كتلة من الصفيح .

قام اثنان من المارة فى ذلك الوقت وقد شهدا الحادث عن قرب بإبلاغ الشرطة وإن كانت قد توجهت إلى مكان الحادث دون إبلاغ ، بعد الصوت المروع الذى أحدثه التصادم ـ وتم نقل روزينبوم وزوجته لمستشفى واشنطن ونقل معهما سائق السيارة الأخرى ، الذى عرف بعد

ذلك على أنه البرتو واستن فابريجو ، الملحق الثقافى لسفارة بنما فى واشنطن .

لم يسفر ذلك الحادث عن إصابات بالغة بالنسبة لدكتور روزينبوم والدبلوماسى فابريجو ، فسريعاً ما خرجا من المستشفى بعد فترة علاج قصيرة . أما الدكتورة براون فكانت إصابتها غاية فى الخطورة ؛ حيث نتج عن الحادث حدوث خلع بإحدى الفقرات العنقية تسبب فى حدوث ضغط شديد على الأعصاب فى منطقة الرقبة مما نتج عنه شلل رباعى أصاب جميع أطرافها ، فلم تعد بعد قادرة على الحركة إلّا بواسطة كرسى متحرك . وبدأت براون من ذلك الحادث رحلة طويلة من العلاج تكلفت آلاف الدولارات ولكن دون جدوى ، فظلت براون عاجزة عن الحركة علاوة على ما أصابها من آلام نفسية بالغة ..

بالرغم من ذلك كله ، أُخلى سبيل الدبلوماسى لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية !! ، على الرغم ممّا أكده شهود الحادث من أنه المسئول الأول والأخير عن حدوث ذلك التصادم ، وبالرغم من هذه الكارثة التى سببها للزوجين !

بل والأبشع من ذلك ، أنه عندما طالب محامى دكتور روز ينبوم سفارة بنما بدفع تعويض عن ذلك الحادث ، حتى يستطيع أن يسدد نفقات علاج زوجته ، رفضت السفارة دفع أى تعويض !

∞ ∞ ∞ ∞

قصة براون هى واحدة من قصص أخرى كثيرة لضحايا حوادث سيارات الدبلوماسيين ، الذين لم يتقاضوا ، على الأقل ، أى تعويض عما أصابهم .

فلويد .. هو ضحية أخرى لحادث أليم مشابه لحادث براون . ففى

يوليو ١٩٧٤ ، صدمته سيارة أحد الدبلوماسيين السوفييت فى واشنطن ، أسفر عن إصابة ذلك الشاب البالغ من العمر ٢٠ عاماً بإصابة شديدة بسلسلة الظهر ، تسببت فى حدوث آلام مستمرة بساقيه مع حدوث ضمور بعضلات الساقين .

ولم تقم السفارة السوفييتية ولا الدبلوماسي بدفع أى تعويض عما لحق بالشاب الصغير والذى قدر له أن يبقى مُتألماً طوال حياته ..

◄ *شوارع نيويورك .... الحزينة !*

سيسيليا ماك نيل هى ضحية أخرى لحوادث سيارات الدبلوماسيين ، والتى ماتت فور وصولها إلى المستشفى بمدينة نيويورك .

كانت سيسيليا البالغة من العمر ٢٢ سنة تسير فى شوارع نيويورك حاملة على ظهرها « مضرب التنس » بعد انتهائها من مباراة ممتعة مع إحدى صديقاتها ، استطاعت أن تحقق فيها فوزاً كبيراً ، فكانت تسير فى نشوة وسعادة وهى تترنم بإحدى الأغنيات . ولكن لم تدم سعادتها كثيراً ، فسريعاً ما انقلبت إلى حزن غامر ملأ قلوب كل من شهدوا ذلك

الحادث المفزع الأليم لتلك الفتاة الصغيرة الرائعة الجمال ، والتى راحت قصتها تملأ شوارع نيويورك فى حزن وأسف بالغ .

فبينما كانت سيسيليا تعبر الشارع ٢٦ ، إذا بها تفاجأ بعربة كاديلاك سوداء تأتى مسرعة للغاية من أحد الشوارع الجانبية لتصدمها فى الحال صدمة عنيفة ألقت بها على جانب الطريق لتستقر بلا حراك وسط بركة من الدماء .

وعلى الرغم من إدانة سائق الكاديلاك وثبوت تهمة القتل عليه ، فلم يستطع أحد من المسئولين توقيع أى عقوبة عليه ، فتم الإفراج عنه فى الحال

فور سماع أقواله ، نظراً لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية ، فذلك السائق الذى كان يقود الكاديلاك بهذه السرعة الجنونية ، والبالغ من العمر ١٧ سنة ، هو ابن سفير إحدى الدول الأسيوية .

وتمّ حفظ القضية ..!!

∞ ∞ ∞ ∞

◄ مهمة قتل ... رسمية !

فى يناير سنة ١٩٨٦ ، خرج أرثر نايت ، البالغ من العمر سبعون عاماً ، من منزله بولاية فرجينيا متوجهاً لأحد محالّ المدينة . وعند تقاطع أحد الشوارع ، فوجىء نايت بعربة تأتى مسرعة للغاية ، فلم يتمكن من مفاداتها ، فصدمته العربة ، ومات فى الحال .

خرج سائق العربة ، بكل هدوء ، من سيارته ليطلب من رجال الشرطة ، الذين قد أتوا لمكان الحادث ، بضرورة السماح له بالانصراف ، لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية ..!

كان ذلك الرجل هو ا . ك ، السائق الخاص لسفير إحدى الدول الأسيوية .

لكن فى تلك المرّة ، لم تستطع حصانة ا . ك من حمايته بصورة مطلقة ، فلم تكن حصانته حصانة كاملة ؛ بمعنى أنها تتوفر له فقط أثناء تأديته لمهام سفارته الرسمية .

فذكر ا . ك ، عندما واجهه المحققون بذلك ، أنه كان بالفعل فى مهمة عمل رسمية ، إذ كان متوجهاً وقت ذلك إلى منزل أحد أعضاء سفارته لأمر هام ..

لكن لم يقتنع المحققون بما ذكره ، ولم يتم الإفراج عنه . وتُرك الأمر لقرار المحكمة .. فكانت تلك الحالة من الحالات النادرة التى تصاعدت

فيها الأمور إلى هذا الحد ، ووصل النقاش فيها إلى داخل المحكمة .

لكن كان من السهل على السفارة ، بعد ذلك ، أن تثبت صحة ما ذكره سائقها ، وتؤيد موقفه . فتمّ الإفراج عن سائق السفارة ، وحفظت القضية ، لتنتهى حياة ذلك العجوز السيء الحظ ، بكل تلك البساطة ..

○○ ○○ ○○ ○○

◄ *مجالين السُّرعة :*

فى ليلة رأس السنة ، عام ١٩٨٢ ، استوقف شرطى المرور سيارة سيدة دبلوماسية تعمل موظفة استقبال فى سفارة كولومبيا بواشنطن ، لقيادتها السيارة متجاوزة حدود السرعة المقررة ؛ حيث كانت تسير بسرعة ٧٩ ميلاً فى الساعة بينما كانت السرعة القصوى فى تلك المنطقة من ولاية فرجينيا هى ٥٥ ميلاً فى الساعة . وتقضى العقوبة فى هذه الحالة بالغرامة التى قد تصل إلى ألف دولاراً وربما مع السجن لمدة عام . بالرغم من أن هذا القانون ينطبق على جميع المواطنين فى البلاد ، لكن لم تعاقب السيدة بأية عقوبة على الإطلاق بفضل حصانتها الدبلوماسية !

○○ ○○ ○○ ○○

وفى نيويورك فى صباح نفس ذلك اليوم استوقف رجل المرور سيارة أخرى لدبلوماسى من كولومبيا أيضاً ، كان يسير بسرعة فائقة غير عابىء على الإطلاق بإشارات المرور ، بينما كان فى حالة سُكر بيّن .

لم يعاقب ذلك الدبلوماسى التابع للأمم المتحدة بأى عقاب .

وتم إخلاء سبيله على الفور . لكن لحسن الحظ لم يصب أحد بإصابات .

○○ ○○ ○○ ○○

تم تحرير ثلاث مخالفات متوالية لدبلوماسى بإحدى السفارات الأسيوية لتجاوزه السرعة فى خلال تسعة أشهر . وعندما طُلِبَ منه تقديم أى تفسير يعلل به تجاوزه المتكرر للسرعة ، جاءت رسالة من قسم البروتوكول بالسفارة تنص على ما جاء فى معاهدة فيينا ـ بند ٣١ ـ المقطع الثانى ، حيث ينص ذلك البند على أنه من حق الدبلوماسى ألّا يجيب على أى أسئلة كمتهم . ولم تقم السفارة بذكر أى شىء سوى ما جاء فى ذلك البند !

∞ ∞ ∞ ∞

فى حادثتين منفصلتين بسبب السرعة الجنونية لبعض الدبلوماسيين الفرنسيين فى سنة ١٩٨١ وسنة ١٩٨٢ ، تمّ إصابة عدد من السيارات المنتظرة بمواقفها ، ثم هربت بعد ذلك السيارات الدبلوماسية من مكان الحادث ، لكن استطاع بعض الشهود التقاط رقم السيارات الدبلوماسية فى كل حادث .

وعندما تم إبلاغ السفارة الفرنسية بالحادثتين ، فى كل مرة ، مع الاستدلال على ذلك بأرقام السيارات المتسببة فيهما ، أنكرت السفارة علاقتها بهذا الأمر ، وراحت تُذكّر إدارة الولاية بحصانة أفرادها التى تحميهم من المساءلة عن مثل هذه الحوادث !، ومن المؤسف أيضاً أن خطاب السفارة إلى إدارة الولاية ، وإن كان يحمل ختم السفارة ، لكن المسئولين لم يعبئوا حتى بذكر الاسم أو التوقيع على ما جاء فى الرسالة .

∞ ∞ ∞ ∞

لا يمكن أن ينسى المسئولون الكنديون ذلك اليوم الذى اخترق فيه أحد الدبلوماسيين المخمورين التابع لفولتا العليا الواجهة الزجاجية لأحد مطاعم أتاوا ! ، ولحسن الحظ لم يصب سوى اثنى عشر من الحاضرين بإصابات غير شديدة . ألقى البوليس القبض على ذلك الرجل بتهمة السرعة الزائدة

وقيادة سيارته وهو فى حالة سكر بيّن ، لكن سرعان ما أفرج عنه بعد أن أعلن عن حصانته !

∞ ∞ ∞ ∞

حادث آخر كان فى عيد الميلاد سنة ١٩٨١ ، حين استوقف رجال الشرطة دبلوماسياً من بوليفيا كان يسير بسيارته فى واشنطن بسرعة فائقة وبطريقة جنونية تمثل خطراً كبيراً على السيارات الأخرى والمارين بالطرق . وعندما استوقفه رجال الشرطة ، كان الرجل ثملاً للغاية حتى أنه لم يستطع حتى السير ، ولا الكلام بعبارات مفهُومة . لكنه سريعاً ما تم إخلاء سبيله وتسليمه إلى أفراد عائلته بعد التأكد من حصانته .

∞ ∞ ∞ ∞

فى الحقيقة أن مشكلة السائقين المخمورين خاصة قائدى السيارات الدبلوماسية هى مشكلة شائعة للغاية فى أمريكا ، حتى أن إدارة الولاية قد قامت بإصدار منشور ليوزع على رجال المرور يرشدهم إلى كيفية التصرف عندما يستوقفون دبلوماسيا مخموراً يقود سيارته ، تقول هذه الإرشادات :

١ ـ اصطحب الدبلوماسى إلى أقرب مركز أو مستشفى حتى يفيق من سكره ، ويصبح قادراً على قيادة السيارة .

٢ ـ أو اصطحبه إلى أقرب تليفون حتى يقوم بالاتصال بأحد أقاربه أو أصدقائه حتى يحضر إليه .

٣ ـ أو استدع « تاكسى » لتوصيله إلى منزله .

٤ ـ أو اصطحبه بنفسك إلى منزله .

∞ ∞ ∞ ∞

فى بريطانيا يعتبر تجاوز السرعة المحددة لسائقى السيارات جريمة ليست

هيّنة ، فيعاقب عليها القانون ، على الأقل ، بالسجن لمدة سنتين وينطبق ذلك حتى على أفراد العائلة المالكة . بالرغم من ذلك ففى خلال السنوات القليلة الماضية مات على الأقل ثلاثة من البريطانيين . تحت عجلات سيارات الدبلوماسيين ، الذين استطاعوا الفرار من محاكمتهم ، ولم توقّع عليهم أية عقوبة !

◀ *ماتت السيدة ، وكان رد السفارة «نأسف عن ذلك» !*

سالى كيرتيسز المقيمة فى منطقة هيرتفورد شاير ، والأم لطفلين ، هى ضحية أخرى من أولئك الضحايا الذين لقوا مصرعهم تحت عجلات السيارات الدبلوماسية . فقد قتلت فى أكتوبر ١٩٧٩ تحت سيارة أحد حرّاس سفارة فنلندا ، والبالغ من العمر ٢٢ سنة !

فعند تقاطع طريقى رويال هوسبيتال مع شيلزيا بريدج ، انطلق الشاب الفنلندى بعربته .B.M.W الفاخرة مخترقاً إشارة المرور الحمراء ، فاصطدم بقوة بعربة سالى كيرتسز التويوتا وبعربة أخرى مارة بالطريق .

دلّ اختبار تحليل الدم الذى أجرى للشاب الفنلندى بعد القبض عليه ، عن وجود ١٥١ مجم من الكحول بجسمه ، مما يشير إلى حالة السّكر الشديد التى كان بها الشاب أثناء قيادته ، مع العلم بأن الحد الأقصى المسموح به لقائدى السيارات هو ٦٥ مجم .

وقد استمر الشاب فى حالة السّكر الشديد حتى بعد مضى ثلاث ساعات من وقت الحادث ، فلم يتمكن من المشى بثبات ولا من الإجابة عن أسئلة المحققين بوضوح .

وبالرغم من أن الحصانة الدبلوماسية التى كان يتمتع بها الشاب الفنلندى مقصورة فقط على المهام الرسمية التى يتولاها ذلك الشاب ، مما يجعله تحت طائلة العقاب فى تلك الحالة ، إلّا أن سفارته أوضحت أنه كان

فى مهمة رسمية وقت حدوث الحادث ، وما أسهل ذلك !.

وأخيراً تم حفظ التحقيق والإفراج عن ذلك الشاب الطائش لاحتمائه بالحصانة الدبلوماسية !!

ذَكَرَ بعد ذلك متحدث باسم السفارة بياناً عن ذلك الحادث فى مؤتمر صحفى قال فيه :

« نحن نأسف لحدوث ذلك الحادث ولموت تلك السيدة ، لكنه فى النهاية مجرد حادث لا أكثر ولا أقل » !

تم سؤال المتحدث بعد ذلك ، عمّا إذا كان يشعر بأن الحصانة الدبلوماسية قد استغلت بصورة سيئة فى تلك القضية ؟ فأجاب المتحدث بكل بساطة قائلاً : « ولماذا إذن هناك حصانة .. ياعزيزى ؟» .

بهذه البساطة الشديدة انتهت حياة تلك السيدة .. فداء للحصانة وللمحصنين !!

∞ ∞ ∞ ∞

تشير الإحصائيات فى بريطانيا إلى أن معظم حوادث السيارات التى قام بها الدبلوماسيون كانت تحت تأثير الكحول وربما المخدرات فى بعض الأحيان ، وأنه خلال العشر سنوات بين سنة ١٩٧٤ وسنة ١٩٨٤ ، تمّ تسجيل ٢٢٨ مخالفة للدبلوماسيين بسبب السرعة الزائدة وهم مخمورون ، وما خفى كان أعظم ..

فى سنة ١٩٧٧ ،قُبض على سائق بعثة غانا مرتين لقيادته السيارة ، وهو فى حالة سكر بيّن . لكن تمّ إطلاق سراحه فى كل مرة ، حتى يعود لاحتساء الخمر وقيادة سيارته مرة أخرى !!

وقد حدث نفس الشيء للسائق الخاص لبعثة زامبيا ، فتم القبض عليه أكثر من مرة ، ولكن دون أى عقاب .

كذلك قبض على بعض الدبلوماسيين التابعين لبعض الدول أكثر من مرة فى منطقة كينسينجتون ، حيث تقع العديد من السفارات بتلك المنطقة ، ولكن لم يكن للقبض عليهم أى فائدة ، فسريعاً ما أطلق سراحهم ، وعادوا لما كانوا فيه .

وفى سنة ١٩٧٧ فقط ، تم التحقيق مع ٣٣ دبلوماسياً فى بريطانيا لسكرهم البيّن أثناء القيادة ، ولكن سرعان ما أخلى سبيلهم لحصانتهم الدبلوماسية .

وربما كانت شبه معجزة أنه لم يُقتل أحد فى تلك الحالات ..

○○ ○○ ○○ ○○

« الونش » وآلاف المخالفات :

تشير الإحصائيات الرسمية فى بريطانيا إلى أنه فى سنة ١٩٨٣ تمّ تسجيل ١٠٢٢١٠ مخالفة لانتظار سيارات الدبلوماسيين فى أماكن محظورة من الطريق ، وفى سنة ١٩٨٤ تمّ تسجيل ١٠٤٦٩٠ مخالفة لنفس الغرض .

وبالطبع ، لم تُدفع الغرامة المقررة لكل هذه المخالفات ، لتمتع أصحابها بالحصانة الدبلوماسية .

ومعظم هذه المخالفات يتم تحريرها فى وسط مدينة لندن ، على الأخص فى ويستمينستر وكينسينجتون وشيلزيا ، حيث تزدحم هذه المناطق بالسفارات والبعثات الدبلوماسية .

ومع كثرة مخالفات « الانتظار » فى لندن ، بدأ رجال المرور يستخدمون « الونش » لجر العربات بعيداً عن الأماكن المحظورة . ويرجع تاريخ استخدام الونش فى بريطانيا إلى حوالى منتصف سنة ١٩٨٣ ، وقد يكون استخدامه فى بريطانيا أُدخل خصيصاً لنقل عربات الدبلوماسيين

بعد ظاهرة انتظار عرباتهم فى الأماكن المحظورة ، مما يعوق حركة المرور فى كثير من الأحيان .

ويشتهر الونش فى بريطانيا باسم «Denver boot» نسبة إلى مدينة دينفر الأمريكية التى استخدم فيها الونش لأول مرة قبل استخدامه فى بريطانيا بعدة سنوات .

ويدفع سائق السيارة فى لندن ، إذا ما تم جر سيارته من أحد الأماكن المحظورة ، غرامة تعادل ١٥ دولاراً ، بالإضافة إلى ٣٠ دولاراً كرسم للإزالة .

يذكر كيث بريندلى رئيس وحدات الونش ، عبارة فى أحد الأحاديث الإذاعية ، قد تكون مُضحكة إلى حد ما أمام كل ما سبق من جرائم دبلوماسية ، إذ يقول : « إن كل العربات التى يقوم بجرها الونش من الأماكن المحظورة تعامل على السواء ، فلا تفرقة بين سيارة دبلوماسية أو سيارة غير دبلوماسية » ..!!

وبالطبع فهذا الكلام لا ينطبق نهائياً على سيارات الدبلوماسيين ، فحتى إذا قام الونش بسحب العربة ، فهم لا يلتزمون على الإطلاق بدفع الغرامة المفروضة ، كغيرهم من المواطنين .

على سبيل المثال ، عندما قام الونش بسحب عربة سفير بولندا ، ستيفان ستانيز يوسكى ، من أحد الأماكن المحظورة فى ١٦ مايو ١٩٨٣ ، قام السفير على الفور بإبلاغ مكتب الخارجية حين عاد لسيارته ولم يجدها ، لكن لم يمض أكثر من عشرين دقيقة ، حتى عاد الونش بالعربة إلى مكانها مرة أخرى ، مع الاعتذار للسفير عمّا حدث .

لكن مع استمرار مخالفات « الانتظار » بشكل واضح ، واضطرار رجال المرور إلى سحب السيارات الدبلوماسية المخالفة حتى يحافظوا على سيولة المرور ، أدى ذلك إلى نوع من الاحتجاج من طرف

الدبلوماسيين . ففى ١٩ مايو ١٩٨٣ تم سحب ١١ عربة تابعة لدولتين أسيويتين ، وفى ٢٤ مايو من نفس السنة تم سحب ٢٩ عربة ، ينتمى ١١ عربة منها إلى فرنسا ، و ١٠ عربات إلى تنزانيا ، والباقى إلى سفارات مختلفة .

فمع تكرار هذه الحالات ، صرّح بعض الدبلوماسيين إلى مكتب الخارجية بأنه إذا استمر سحب سياراتهم ، فإن الدبلوماسى الإنجليزى لن يكون آمناً على سيارته بعد ذلك فى بلادهم .

دعا ذلك الاحتجاج إلى إعادة النظر فى الموضوع ، وفى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٨٣ ، أعلن مكتب الخارجية أن استخدام الونش لحمل سيارات الدبلوماسيين وجرّها بعيداً عن أماكنها ، حتى لو كانت تقف فى منطقة محظورة ، يعد ذلك الفعل انتهاكاً للمادة ٣١ والمادة ٣٧ من معاهدة فيينا حيث تنص المادتان على أنه لا يجوز للدولة المضيفة أن تعوق حرية الدبلوماسيين فى الحركة . وبناء على ذلك تقرر عدم السماح بسحب السيارات الدبلوماسية وجرّها بعيداً عن أماكنها !!

وبالتأكيد فإن ذلك القرار قد أتاح الفرصة لبعض الدبلوماسيين لارتكاب عدد أكبر من المخالفات وبمزيد من الاستهتار بحرية الآخرين فى التنقل بسياراتهم .

وإليك عدد مخالفات الانتظار التى ارتكبها بعض الدبلوماسيين بعد ذلك القرار ، فى سنة ١٩٨٤ ، نتيجة لوقوف سياراتهم فى الأماكن المحظورة . فى مقدمة القائمة يأتى الدبلوماسى ميجور جنرال هانانييام ، قائد البعثة النيجيرية ، والذى ارتكب أثناء بعثته ٦٦١٨ مخالفة ، ثم يليه أحد الدبلوماسيين العرب الذى ارتكب ٦٢٩٤ مخالفة . ثم يأتى فى المركز الثالث دبلوماسى عربى آخر ، حيث ارتكب ٤٨٠٠ مخالفة . ثم يأتى بعد ذلك سفراء كوبا وقبرص وغانا والهند وإيطاليا وبولنده واليابان ، حيث

ارتكب كل منهم ما يزيد عن ٢٠٠٠ مخالفة . ثم أخيراً يأتى سفراء هايتى وبلغاريا وفرنسا واليونان وأوغندا وفولتا العليا ، حيث ارتكب سفراء هذه الدول ما يزيد عن ١٠٠٠ مخالفة .

فى مدينة نيويورك ، على الأخص ، تعد مشكلة وقوف الدبلوماسيين بسياراتهم فى الأماكن المحظورة أسوأ منها فى لندن .

ففى سنة ١٩٧٧ ، أعلن هوارد جولدن ، عمدة مدينة نيويورك ، فى أحد المؤتمرات الصحفية أن حصانة الدبلوماسيين تمنع المسئولين بالمدينة من التصدى لهم بطريقة حازمة لمنع ارتكاب تلك المخالفات المتكررة . ومن المؤسف أن الشكاوى التى تصل إلى الإدارة من جهات مختلفة محتجة على وقوف سيارات الدبلوماسيين فى الأماكن الخاصة ، كالمستشفيات ومحطات الأتوبيس ، تهمل تماماً ، فماذا يمكننا أن نفعل لهؤلاء المحصنين ؟!

وفى تقرير للأمم المتحدة شمل الفترة بين ١ مارس ١٩٧٤ حتى ٣ يناير ١٩٧٥ ، فى مدينة نيويورك ، جاء فيه أن ٢٠ سيارة دبلوماسية فى تلك الفترة ارتكبت ما يزيد عن ٣٦٠ مخالفة لكل منها !.. وأن سيارة دبلوماسية واحدة قد ارتكبت ٦٧١ مخالفة ! ومن الملاحظ أيضاً أن عدد المخالفات فى تزايد مستمر ، فمنذ فترة قريبة وخلال تسعة أشهر فقط ارتكب ثلاثة من الدبلوماسيين الأوغنديين ١٧٠٠ مخالفة !

∞ ∞ ∞ ∞

فى حديث لسير انطونى كيرشاو ، رئيس مكتب الخارجية فى لندن ، عَبْرَ إذاعة بى . بى . سى ، فى سنة ١٩٨٠ ، قال كيرشاو : «الحصانة هى الحصانة ، لكن تطبيقها بطريقة صحيحة يتوقف على مدى تحضرّ المحصنين ، بحيث يستغلونها فقط فيما هو ضرورى لمهامهم ، ولا يستغلونها بشكل همجى ، كما هو الحال فى دول كثيرة من العالم فى الوقت الحالى » .

ولكن للأسف أن قلّة من الدبلوماسيين قد لا يتمتعون بذلك التحضّر ، الذى ذكره سير انطونى كيرشاو ، والذى يجب أن يواكب تمتعهم بالحصانة .

وبالمناسبة أذكر تلك الواقعة ، حين ارتكب أحد أعضاء إحدى السفارات الأفريقية فى لندن حادثاً بسيارته فى منطقة كينسينجتون ، وعندما طلب منه الشرطى النزول من سيارته ، قام بصفعه على وجهه من داخل السيارة !.

ولم يستطع رجل الشرطة مقاضاته بأى شىء بفضل تمتعه بالحصانة .. أما فى الحادثين التاليين فسوف تجد أكبر دليل على صحة ما ذكره سير انطونى كيرشاو .

∞ ∞ ∞ ∞

◀ *«علقة ساخنة» لرجل المرور !*

فى منطقة منهاتن بولاية نيويورك ، وفى ١٢ مايو ١٩٨٠ ، اندهش سائقو السيارات من تلك العربة الرمادية اللون الفارهة الطول التى توقفت بسائقها الخاص بطريقة غير لائقة عند تقاطع الشارع الثالث والثلاثين مع الشارع الخامس ، لتسد الطريق وتعوق حركة المرور . فقام رجل المرور على الفور بتوجيه إشارة لسائق العربة للتحرك من ذلك المكان . فى أثناء ذلك ، خرج من المقعد الخلفى للعربة شاب ، يدرس بالجامعة الأمريكية وهو ابن سفير إحدى الدول الأفريقية بأمريكا ، وتوجه إلى أحد أكشاك التليفون لإجراء مكالمة تليفونية ، وعاد مرة أخرى للعربة ، فوجد رجل المرور يقوم بتدوين مخالفة لعربته ، فثار الشاب بشدة ، وكما يذكر الشرطى ، أن الشاب قام بضربه ضربة قوية فى بطنه وما أن أفاق من تلك

الضربة إذا به يفاجأ بمن يضربه مرة أخرى على ظهره من الخلف ، وكانت مفاجأة له حين التفت ليجد أن صاحب تلك الضربة هى فتاة فى العشرينات من عمرها ، إنها زوجة ذلك الشاب !.

كان قد تجمع فى أثناء ذلك رجلان آخران من رجال الشرطة قام رجال الشرطة باقتياد الشاب وزوجته مكبلين بالسلاسل إلى مركز الشرطة .

وبالتأكيد تم الإفراج فى الحال عنهما بعد الإفصاح عن شخصيتهما والتأكد من تمتعهما بالحصانة الدبلوماسية ، وتم إيقاف رجل المرور عن العمل لفترة ، ومعاقبة الشرطيين الآخرين ، بالرغم من ادعائهم أنهم لم يلحظوا أبداً تلك الإشارة التى كانت تحملها العربة والخاصة بالدبلوماسيين ، وبالرغم من أنهم لم يرتكبوا أى ذنب ، فكل ما فعلوه كان حفاظاً على انتظام حركة المرور وهذا من صميم واجبهم ، ولكن لم يستمع إليهم أحد ..!

∞ ∞ ∞ ∞

◄ ممنوع الانتظار وإلّا الضرب بالنار !

سيتفن جولدستين البالغ من العمر ٢٥ سنة هو من المختصين بتسجيل عقود المبانى بمدينة نيويورك .

فى ٣ أبريل ١٩٨٥ ، كان على ستيفن الخروج من عمله لمعاينة أحد المنازل فى الشارع الثانى والسبعين ، وأنهى ستيفن مهمته ، لكنه تذكر بعد عودته لمنزله أنه نسى قبعته فى ذلك المنزل . وفى مساء اليوم التالى خرج ستيفن من عمله فى التاسعة والنصف مساءً متوجهاً إلى ذلك المكان لاستعادة قبعته ، وبصعوبة بالغة عثر سيتفن على مكان لوضع سيارته فقد

كان الشارع ممتلئاً بالسيارات المنتظرة فى ذلك الوقت ، ولكن لسوء حظه أنه لاحظ عند خروجه من العربة إشارة تمنع انتظار السيارات فى ذلك الموضع ، لكنه استطاع أن يرجع بها للخلف قليلاً فلم تعد تشغل سيارته من المكان المحظور الانتظار به سوى ما يقرب من نصف متر ، فلم يبال ضرراً فى ذلك خاصة أنه سيعود لسيارته بعد حوالى ٥ دقائق بمجرد أن يلتقط قبعته ..

وعاد ستيفن لسيارته وما كاد يدخل إليها حتى جاءت عربة مرسيدس سوداء لتقف خلفه مباشرة وتحجزه تماماً فى مكانه ، فلم يستطع ستيفن التقدم بسيارته للأمام ولا للخلف حتى يخرج بها من موضعها ، فنزل ستيفن من سيارته وتوجه إلى سائق المرسيدس قائلاً :

« من فضلك .. ارجع بعربتك للخلف قليلاً ، حتى أتمكن من الخروج بعربتى » .

فنظر إليه السائق بسخرية ، ولم يعبأ بما يقول .

فعاد ستيفن يكرر طلبه ثانية :

« أرجوك ... ارجع بعربتك للخلف » واستمر السائق على حاله غير مبالٍ بما يقول ستيفن ، ثم خرج من سيارته وصعد إلى المنزل المقابل للسيارة .

لم تمض خمس دقائق بعد ذلك ، حتى كانت تلك المفاجأة الغريبة التى لم يتوقعها ستيفن على الإطلاق . فمن إحدى نوافذ المنزل وقف شخص ممسكاً ببندقية وراح يصوبها ناحية ستيفن ، ونجح ستيفن فى تجنب طلقات النار لكنها أصابت زجاج سيارته الذى تناثر قطعاً صغيرة .

واندهش ستيفن من تصرف ذلك الأحمق ، فراح يجرى فى الشارع لعله يلقى أحد رجال الشرطة ، فعثر على شرطى مرور يقوم بدورية فى هذه المنطقة ، فتوجه ستيفن إليه قائلاً :

« هل لديك جهاز اتصال ؟ » .

فرد الشرطى :

« نعم .. ماذا تريد ؟ »

فقال ستيفن وهو يلهث من الجرى : « أرجوك .. استدع الشرطة حالاً .. هناك شخص أطلق على النار وأصاب سيارتى .. » .

وبالفعل جاء رجال الشرطة ، وصعدوا ذلك المنزل المذكور ليتحروا عما حدث ، وكانت مفاجأة أخرى حين اتضح لهم أن ذلك الرجل الذى أطلق الرصاص على ستيفن هو سفير المكسيك !!، الذى صاح فيهم قائلاً : « كيف يجرؤ ذلك الوغد على أن يضع سيارته أمام منزلى ؟ » .

وبعد فترة قليلة من الحوار مع رجال الشرطة ، عاد يصيح فيهم مرة أخرى قائلاً : « والآن .. وقد عرفتم ما جئتم له وملأتم أوراقكم .. آمركم بالانصراف ، فليس من حقكم أن تتجاوزوا ذلك أو تتخذوا ضدى أى عقوبة ...!! » .

وصدق السفير تماماً ، فليس من حق رجال الشرطة أن يفعلوا أكثر من ذلك ، فالحصانة الدبلوماسية تحصنه من أى عقوبة أو أسلوب لا يليق . فرحل رجال الشرطة مندهشين تماماً من ذلك الأسلوب الغريب لرجل دبلوماسى ، ولكن كانت دهشة ستيفن أكبر بكثير ، فقال فى استغراب لرجال الشرطة : « كيف يمكن أن يكون ذلك الرجل سفيراً أو حتى إنساناً بالمرة ؟، هل يمكن أن يحدث كل ذلك لمجرد أننى وضعت سيارتى بالقرب من المنطقة المخصصة لسيارة دبلوماسى ؟!!! » .

وبعد حوالى أسبوع أصدرت السفارة بياناً توضح فيه حقيقة ما حدث ، بعد أن قامت إحدى الصحف بنشر ذلك الحادث الغريب والشاذ ، فذكر فى البيان أن سائق المرسيدس هو ذلك الشخص الذى أطلق الرصاص .



بوربورو مونوزليدو ... سفير المكسيك فى الأمم المتحدة ، الذى قام بإطلاق النار على ستيفن جولدستين لوقوف عربته أمام منزل السفير فى نيويورك سنة ١٩٨٥ .

وليس السفير بأى حال من الأحوال ، إذ أنه كان موجوداً فى ذلك الوقت خارج البلاد فى مهمة رسمية !!

ولم يجد ستيفن ما يفعله سوى محاولة نسيان ذلك اليوم الذى نسى فيه قبعته ، وأن يحترس بعد ذلك كل الاحتراس من السيارات الدبلوماسية .....!

٥٥ ٥٥ ٥٥ ٥٥

◀ أنا عضو فى عصابات المافيا ...!

هذه حالة أخرى تؤكد ما ذكره سير أنطونى كيرشاو ، وهى وإن كانت غير مرتبطة بحوادث السيارات الدبلوماسية ، لكنها من الحالات الشهيرة التى لا ينساها المحققون بإدارة الولاية والتى وصل النزاع فيها إلى البيت الأبيض الأمريكى ..

ففى ٥ مايو سنة ١٩٨٢ ، وفى الملهى الليلى « الأب الروحى » ، أحد ملاهى واشنطن الشهيرة ، جلس فرانك سانشيز ، ابن سفير البرازيل فى أمريكا ، والطالب بالجامعة الأمريكية ، يتابع فى نشوة راقصات الملهى ، وهن يؤدين أحد العروض . راح فرانك يحتسى كاسات الخمر واحداً تلو الآخر فى شراهة وعصبية غريبة ، بدأت تثير القلق فى المحيطين به من روّاد الملهى . وازداد الأمر حدة ، حين قام بالتشاجر مع « البارمان » وبعض الحاضرين دون وجه حق .

عند ذلك الحد ، كان على كينى سكين ، المكلّف بالمحافظة على الأمن داخل الملهى ، التدخل لمنع مزيد من الشغب والتوتر . فذهب كينى لفرانك ، وطلب منه مغادرة الملهى لما أحدثه من شغب بين الحاضرين ، لكن فرانك لم يعبأ بطلبه حتى أنه لم يهتم حتى بالنظر إليه ، فعاد كينى يطلب منه مرة أخرى وبطريقة مهذبة أن يغادر الملهى . وما كاد أن يُكمل

كينى عبارته حتى قام فرانك بضربه فى وجهه ضربة قوية بقبضة يده أطاحت به على الأرض ، ثم قام بإخراج مسدسه ، وبدأ يهدد كل من يحاول الاقتراب منه ، ثم اتجه ناحية الباب ، وهو لايزال مصوباً مسدسه نحو المدخل ، وراح يصيح قائلاً : «أنا عضو فى عصابات المافيا .. سأقتل كل من يتعرض لى» ! ثم فرّ بسرعة إلى خارج المحل . لكن كينى سرعان ما استطاع أن يصل إليه مرة أخرى ، وهو يهم بركوب عربته ، وعاجله بضربة قوية ، فأطاح به على الأرض وسقط منه المسدس . ولكن قبل أن يتمكن كينى من التقاط المسدس الملقى على الأرض ، أخرج فرانك بسرعة من سترته بندقية صغيرة وأطلق عدة رصاصات متلاحقة أصابت كينى فى أماكن متفرقة من جسمه ، لكنه رغم ذلك استطاع أن يصمد

لفترة قصيرة راح يضرب خلالها فرانك عدة ضربات طائشة ، حتى عاجله فرانك فى النهاية بضربة قوية ، أردته على الأرض بلا حراك .

لم تمض سوى دقائق بعد ذلك حتى وصلت عربات الإسعاف والبوليس ، لتأخذ فرانك إلى قسم الشرطة ، وتمضى بكينى إلى المستشفى ، حيث ظل فى حجرة الإنعاش بين الحياة والموت . ومرّت تلك الفترة بسلام ، وبدأ كينى يتماثل للشفاء تدريجياً ، بعد أن استطاع الأطباء التغلب على النزيف الدموى الحاد الذى أصابه ، ونجحوا فى استخراج ثلاثة رصاصات من جسده .

أما فرانك ، فلم يستطع المحققون إصدار أى عقوبة نحوه ، بالرغم من ثبوت إدانته وتم إطلاق سراحه ، وذلك لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية !

وعندما علم كينى بذلك النبأ كاد يجن من الذهول ، فلم يكن يتوقع أن تكون حياته رخيصة إلى ذلك الحد !، ومن ناحية أخرى ، وبعد ان امضى فترة طويلة من العلاج بالمستشفى ، كان عليه أن يدفع فاتورة حساب بمبلغ



كينث سكين ، الشهير بكيني .. وقد بدأ يتماثل للشفاء فى المستشفى، بعد أن أصابه ابن سفير البرازيل فى واشنطن بعدة طلقات نارية فى سنة ١٩٨٢

يبلغ حوالى ١٠ آلاف دولار ، فمن أين له أن يأتى بذلك المبلغ الذى فُرض عليه أن يدفعه دون ذنب ، كما قُدّر له من قبل أن يُطلق عليه الرصاص ، وينجو الجانى بلا عقاب ؟!

لكن لم يستسلم كينى لحصانة ذلك الرجل ، فأطلق شكواه إلى الصحف وإلى المسئولين فى كل مكان ، حتى استطاع أن يبعث بها فى النهاية إلى البيت الأبيض . ولكن للأسف ، فقد كان كل ذلك دون جدوى ، فالحصانة هى الحصانة ..

لكن لم ييأس كينى ، فعاد لاستكمال جولته للدفاع عن حقه ، بمساعدة أحد المحامين المهرة ، الذى أقام دعوى ضد حكومة البرازيل نفسها طالبها فيها بمبلغ ١٠ مليون دولار ، كتعويض عما لحق بكينى .

كان لابد فى ذلك الوقت ، وأمام تلك الضجة التى سببها حادث فرانك ، أن تعلن السفارة البرازيلية منشوراً للصحف توضح فيه ظروف ذلك الحادث ، ورأيها فى كل ما يدور حوله . وبالتأكيد جاء ما كتب فى ذلك المنشور مخالفاً تماماً للحقيقة ، فجعل كينى هو الجانى بينما صار فرانك هو المجنى عليه .

واستمرت قضية كينى أمام المحاكم لسنين ، جاء بعدها الحكم برفض الدعوى . فعاد كينى العنيد إلى استئناف القضية من جديد . وكادت بالفعل أن تنتهى تلك الجولة بالفشل ، كما انتهت الجولات السابقة ، لكن لحسن الحظ أنه تم ترشيح سفير آخر لتولى مهام السفارة بدلاً من السفير السابق والذى رحل إلى بلده هو وزوجته بلا رجعة . فأراد السفير الجديد أن ينهى ذلك الأمر تماماً ، فوافق على دفع تعويض إلى كينى ، ولكن أقل من المبلغ الذى طالب به محاميه ، لكنه فى نفس الوقت كان كافياً لسداد

نفقة العلاج . واشترطت السفارة لسداد ذلك المبلغ ، أن يتنازل كينى عن دعواه ، وأن يتم السداد بطريقة ودّية ، وبعيداً عن تدخّل أى مسئول ، حتى أنها اشترطت أيضاً عدم حضور المحامى الخاص بكينى !.

وبالفعل ، تمّ دفع التعويض ، وكانت قيمته تعادل تقريباً قيمة علاج المستشفى .

بذلك النصر المتواضع ، حقق كينى نجاحاً كبيراً لم يكن يحلم به ، وفى نفس الوقت كان قد تعلّم درساً غالياً ، وهو ألّا يحاول بعد ذلك أن يتصدى لأحد من الدبلوماسيين ..



أفعال فاضحة جداً ..

شملت الجريمة الدبلوماسية ، بصرف النظر عن الاغتصاب ، نوعاً آخر من السلوك الجنسي البذيء ، والذى تعدّدت أشكاله ، لكنه فى النهاية يصيب الضحية بشيء واحد وهو الاشمئزاز وربما الصدمة النفسية .

ومن نماذج هذا السلوك ، أذكر هذه الأفعال الفاضحة التى قام بها قِلَّة من الدبلوماسيين .

◀ .... ؟!!

فى يوم السبت ٢٥ سبتمبر ١٩٨٢ ، وفى أحد المحالّ الكبرى بمدينة الكسندريا بولاية فرجينيا القريبة من العاصمة واشنطن دى سى ، كان من ضمن رواد ذلك المتجر الشهير « لاندمارك » شاب يعمل حارساً بسفارة بلده فى واشنطن . قام ذلك الشاب بتعرية أعضائه التناسلية واستعراضها أمام فتاة صغيرة كانت تتجول بين أرجاء المتجر !

سارعت الفتاة بإبلاغ الحراس عن ذلك الفعل الفاضح ، ووصفت لهم ملامح ذلك الشاب . فذهب الحراس للبحث عنه ، وتأكدوا بالفعل من الوصول للشخص المراد حين فوجئوا ، هم الآخرون ، بشخص يقوم بتعرية أعضائه التناسلية لهم ، وهم متجهون نحوه !!

تم احتجاز الشاب فى مكتب الأمن بالمتجر حتى يصل رجال الشرطة . وفى أثناء التحقيق ذكر مدير المتجر أنه جاءته من قبل شكاوى عديدة مماثلة من كثير من السيدات والفتيات من رواد المتجر وجميعها تشير إلى نفس أوصاف المتهم .

ومن المؤسف أن ذلك الشاب المتزوج لم يلق أى عقوبة لتمتعه بالحصانة

الدبلوماسية !! ولكن نظراً لأفعاله الفاضحة المتكررة ، تم عزله من سفارة واشنطن ، وعاد إلى بلده بعد شهر من ذلك الحادث ، لإلحاقه بعمل آخر .

◀ حالة أخرى غريبة ..

حادث وَقِحٌ آخر ، تم بأحد متاجر فرجينيا فى فبراير ١٩٨٣ . حين ذهبت الأم وابنتها البالغة من العمر الحادية عشرة للشراء ، فتركت الابنة أمها وراحت إلى صالة الترفيه بالمحل لتمتع نفسها بأحد ألعاب الكومبيوتر « أتارى » ، وبينما كانت الفتاة منشغلة تماماً بلعبتها المثيرة إذا بشاب يقترب منها من الخلف ويلاصقها تماماً ، بينما راحت يداه تمر على خصرها وفخذيها !!. ذُعرت الفتاة تماماً من ذلك التصرف الوقح الجرىء ، وراحت لأمها تحكى لها عما حدث ، فسارعت الأم بإبلاغ الحراس .

وفى قسم الشرطة جلست الفتاة تحكى للمحقق عما حدث وهى لا تزال متوترة مذعورة ، لكن كان لابد من استقصاء الأمر بالتفصيل لتحديد نوع الإدانة ، لكن المحقق اكتفى ببعض ما ذكرته الفتاة حتى لا يسبب لها مزيداً من الألم النفسى ، وراح يستمع لأقوال الأم والشاب المتهم ..

وانتهى الأمر كأن شيئاً لم يحدث ، فلم يستطع المحققون توقيع أى عقوبة على ذلك الشاب الأسيوى الجنسية لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية الكاملة ، فهو أحد أفراد بعثة عسكرية دبلوماسية !.

ولكن عندما علم سفير بلاده بذلك الحادث أصر على قطع مهمة ذلك الشاب وعودته إلى بلاده فوراً ، لكنه لم ينل أى عقوبة أخرى .

ونسى الجميع ذلك الحادث ، إلّا واحدة لا يمكن أن تنساه هى تلك الفتاة الصغيرة .

◀ أغراض سياسية أم أغراض جنسية ؟!

أغرت الحصانة الدبلوماسية ـ بما توفره من حماية كاملة لأصحابها ـ بعض الأشخاص ممن لا يتمتعون بها ، بمحاولة الانضمام تحت مظلتها ، حتى ينجوا من العقاب بسبب أعمالهم المنحرفة ، خاصة فيما يتعلق بموضوع الاغتصاب .. كهذه الحالة .

ففى سبتمبر ١٩٨٢ ، وفى إحدى حدائق نيويورك ، خرج الكثيرون من سكان المنطقة لقضاء وقت العطلة بتلك الحديقة وسط الطقس الرائع فى ذلك اليوم . لكن لم تحظ إحدى السيدات فى ذلك اليوم بشىء من المتعة ! فقد أحست بالمرارة والأسف لما حدث لها فى ذلك اليوم !

كانت تلك السيدة البالغة من العمر ٤٣ عاماً تسير بأحد أرجاء الحديقة ، وإذا برجل كورى الجنسية راح يلاحقها فى كل مكان تسير فيه ، فأسرعت السيدة فى خطواتها ، لكنه ظل يلاحقها حتى اقترب منها تماماً وبكل وقاحة حاول أن يعتدى عليها ! . اشتبكت السيدة مع الرجل وحاولت الفرار ، لكنه استمر فى الانقضاض عليها كالوحش وهددها بأن يهشم رأسها بحجر كان قد أمسك به فى يديه . لكنها استطاعت محاورته والفرار منه إلى رجال الشرطة بالحديقة ، الذين راحوا يجولون معها فى الحديقة بحثاً عن ذلك الرجل .

وفى أحد الأركان كان يجلس مجموعة من الكوريين ، فذهبت السيدة إليهم مع رجال الشرطة واستطلعت وجوههم واحداً واحداً ، لكنها للأسف لم تجد ذلك الرجل بينهم . كانت تلك المجموعة من الكوريين هى بعثة من الملاحظين الكوريين للولايات المتحدة الذين جاءوا إليها فى مهمة عمل رسمية ، وكان ذلك الرجل الهارب هو بالفعل أحد أفراد تلك المجموعة . فبعد أن هدأت السيدة من توترها واستعرضت بعد ذلك مع

رجال الشرطة بعض الصور الفوتوغرافية لأعضاء تلك البعثة ، استطاعت أن تتعرف على ذلك الرجل وتحدده تماماً ، إنه أونام شول البالغ من العمر الثامنة والثلاثين .

وفى ٢١ سبتمبر ١٩٨٢ صدر قرار بالقبض على نام الهارب بتهمة محاولة اعتدائه على تلك السيدة . فى بادىء الأمر أظهرت البعثة تعاونها مع رجال الشرطة ، لكنها سريعاً ما أعربت عن استنكارها لما حدث ، وادعت تمتع نام بالحصانة الدبلوماسية الكاملة .

ولكن أسفرت التحريات عن غير ذلك ؛ فلم يكن يتمتع أفراد تلك البعثة بالحصانة الكاملة لأنهم مجرد مجموعة من الملاحظين فى مهمة عابرة ، ولكن فى نفس الوقت ليس من حق السلطات معاقبة نام بالسجن لاعتباره « مواطناً آمناً » أثناء مهمة البعثة ، ولكن من حقهم القبض عليه والتحقيق معه فى تلك القضية .

واستمرت المباحثات بين المسئولين الأمريكيين والسفارة الكورية شهوراً وشهوراً ، وكل مصرٌ على موقفه ، مما عرض أعضاء البعثة جميعهم إلى الطرد خارج البلاد إذا لم يقوموا بتسليم نام ، وانتهى الأمر بالاتفاق على ترحيله خارج الولايات المتحدة خلال ٤٨ ساعة .

كان تعليق حكومة كوريا الشمالية على ذلك الحادث منافياً تماماً لما سبق ، فذكرت أن كل هذه القصة هى مجرد أحداث ملفقة ابتدعتها الحكومة الأمريكية لأغراض سياسية ، ولطرد بعثة الملاحظين الكوريين من بلادهم ....؟!

∞ ∞ ∞ ∞



أونام شول .. أحد أعضاء بعثة الكوريين للأمم المتحدة ، والذى تم ترحيله من البلاد بعد اعتدائه الوقح على السيدة الأمريكية فى سنة ١٩٨٢

◄ شذوذ ...

فى هذه الحالة ، اتهم أحد الدبلوماسيين بالشذوذ الجنسى ، فلم يتم الاعتداء هنا على امرأة ، وإنما اعتدى رجل على رجل مثله ! ، فكان ذلك الحادث إساءة للدولة بأكملها التى ناب عنها ذلك الدبلوماسى فى مهمته ..

ففى فبراير ١٩٨١ ، وبعد انتهاء الحفل الذى أقامته السفارة الروسية لأعضائها فى واشنطن ، خرج يوريلى أسيبوف ، سكرتير أول المركز الثقافى الروسى ، متجهاً إلى إحدى الحدائق المجاورة والمعروفة بارتياد الشواذ لها .

وفى ساعة متأخرة من نفس الليلة شُوهد أسيبوف يسير بعربته بسرعة جنونية ، وعندما استوقفه رجل الشرطة رد عليه أسيبوف بلهجة إنجليزية مميزة قائلاً : «دبلوماسى روسى» ، ولم يشأ أن يكمل المزيد .

وفى نفس الوقت جاءت عربة أخرى لتتوقف عند عربة أسيبوف ، إنها عربة فالديمير فيكولوف أحد أعضاء السفارة الروسية ، الذى أخبر رجل الشرطة أن أسيبوف كان ينطلق بسيارته على هذه السرعة بعد أن قام بسرقته اثنان من السود واستطاع أن يهرب منهما !

وفى نفس الوقت كان مركز الشرطة قد تلقى بلاغاً من أحد الأشخاص هو سامى سميث ، البالغ من العمر ١٩ سنة ، يفيد بضرب أحد الأشخاص له ومحاولة الاعتداء عليه .

ذكر سميث أنه أثناء عودته إلى المنزل ماراً بتلك الحديقة شاهد رجلاً يجول بين أرجاء الحديقة فى قلق واضطراب ، وكان يبدو وكأنه يبحث عن شىء .. ثم شاهد بعد ذلك اثنين من السود يتوجهان نحوه ويحاولان سرقته ، فاتجه إلى مكانهما ونجح فى أن يصرفهما عنه . فشكر الرجل سميث بحرارة وعرض عليه ، بلهجة إنجليزية مميزة ، أن يُقله بسيارته إلى

منزله ، وفى العربة فوجىء سميث بالرجل يتصرف معه بطريقة شاذة ، فقال لرجل الشرطة : «لقد حاول أن يُمسك بخصوصياتى ، وعندما رفضت ذلك وحاولت الهروب ، حاول أن يخنقنى» .

فى مركز الشرطة كان قد تبين للمحققين شخصية ذلك الرجل من خلال هذا البلاغ ومن خلال أحداث مخالفة المرور التى تم تحريرها فى نفس تلك الليلة .

وفى صباح اليوم التالى ، دعا مركز الشرطة سميث مرة أخرى وعرض عليه صورة فوتوغرافية لأسيبوف ، فاستطاع سميث أن يتعرف عليه مؤكداً أنه نفس الرجل الذى حاول الاعتداء عليه .

وعندما رُفعت هذه القضية إلى السفارة الروسية ، أعلن السوفييت تمتع أسيبوف بالحصانة ، ولكن لم تمض أيام حتى أبلغت السفارة إدارة الولاية عن رحيل أسيبوف وزوجته خارج الولايات المتحدة إلى روسيا .

ويذكر مركز البوليس تعليقاً على ذلك الحادث ، أنه ربما يكون واحداً من عشرات الحوادث التى لم يتم الإبلاغ عنها . فكثير من الجرائم الجنسية تمضى فى الخفاء دون علم الشرطة ، ولا يظهر منها إلّا القليل .

oo oo oo oo

شهدت انجلترا فى الفترة بين سنة ١٩٧٤ حتى سنة ١٩٨٤ حالات عديدة للاغتصاب والأفعال المنافية للآداب ، تم الإبلاغ فيها عن ١٦ حالة تختص بالدبلوماسيين ، ولم يعاقب أحد منهم لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية .

◄ *حالة مسز رينولد :*

من إحدى أولئك الضحايا «لين رينولد» ، البالغة من العمر ٢٨ سنة . وتبدأ قصتها حين خرجت مسز رينولد مع طفليها الصغيرين فى



لين رينولد .. تظهر في الصورة مع طفليها في إحدى حدائق لندن ، حيث تعرّضت لاعتداء وقح من جانب أحد الدبلوماسيين في مارس ١٩٨٤

ظهيرة يوم الثلاثاء من مارس ١٩٨٤ ، للتنزه فى الحديقة المجاورة لمنزلهم ببلدة كينسينجتون .

وضعت الأم ابنها الرضيع دارين على إحدى «المراجيح» ، وراحت تدلله فى سعادة ، بينما راح ابنها الآخر روبرت يلهو حولها فى سعادة ، وراح الجميع ينعمون بوقت ممتع فى طقس ذلك اليوم البديع .

فى أثناء ذلك اقترب منهم شاب أجنبى راح ينظر لمسز رينولد بطريقة غريبة ، فلم تكترث به ، لكنه اقترب منها أكثر وأكثر قائلاً : «هل أنت أم هذين الطفلين ؟» ، فردت مسز رينولد فى دهشة : «نعم أنا أمهما» ، فرد الشاب الأجنبى قائلاً : «لا أستطيع أن أصدق ذلك ، فأنت صغيرة على أن تكونى أماً ..» .

وزادت دهشة مسز رينولد من سلوك ذلك الشاب ، حين انثنى ناحية طفلها دارين الجالس على المرجيحة وراح يقبله فى جبينه ..، ثم اتجه مرة أخرى ناحية الأم قائلاً : «إنى أتوق إلى عناقك وتقبيلك» ، ولم يكتف بذلك ، بل اقترب منها أكثر وأكثر محاولاً ضمّها إليه رغماً عنها !. ذُعِرَت الأم ، وارتبكت بشدة ، وأخذت طفليها عائدة إلى منزلها لتحكى لزوجها عما حدث ..

قام الزوج بإبلاغ الشرطة ، وخرج بعد ذلك سريعاً هو وبعض رفاقه إلى الحديقة بحثاً عن ذلك الشاب حتى تمكنا من العثور عليه .

وفى قسم الشرطة ادعى الشاب فى بادىء الأمر عدم معرفته للغة الإنجليزية ، لكنه بعد ذلك اضطر للحديث بالإنجليزية ، وكان أول ما ذكره للمحققين هو تمتعه بالحصانة الدبلوماسية ، وقدم نفسه كعضو بقسم الاتصالات بإحدى السفارات الأسيوية . وتم الاتصال بمكتب الخارجية للتأكد من حصانة ذلك الرجل ، وجاء الرد مؤكداً لصحة

أقواله . وسريعاً ما تم الإفراج عنه فى تلك التهمة التى يمكن أن يعاقب عليها القانون فى انجلترا بالسجن لعدة سنوات !

جرت بعد ذلك سلسلة من الأحداث الغريبة ، فذكر متحدث باسم سفارة تلك الدولة عدم علمهم بذلك الحادث أو معرفتهم لذلك الرجل ، فهو ليس عضواً لديهم بالمرة ، ولا يتمتع بأى حصانة دبلوماسية ، بالرغم مما ذكره مكتب الخارجية عن تمتعه بالحصانة الدبلوماسية ؟!

حاول البوليس البحث عن ذلك الرجل مرة أخرى ، لكنه كان قد رحل خارج البلاد إلى بلاده كما جاء فى تقرير لإدارة الهجرة .

أسفت مسز رينولد لذلك النبأ أشد الأسف ، قائلة للمحققين : « كيف يمكن أن يمر حادث كهذا دون عقاب ، إن ذلك الرجل بسلوكه البذىء لايزال يمثل خطراً على كثير من السيدات » !!.

∞ ∞ ∞ ∞

◄ ***حيلة ماكرة ...***

فى مايو ١٩٨٤ تعرضت زوجة إنجليزية أخرى لمحاولة اغتصاب قام بها أحد أعضاء إحدى السفارات بلندن والبالغ من العمر ٤٩ عاماً !

تذكر الزوجة الصغيرة ، البالغة من العمر واحداً وعشرين عاماً ، أنه أثناء سيرها بمنطقة كلافهام بجنوب لندن ، اقترب منها شخص فى الطريق ، وطلب مساعدتها فى نقل بعض حقائب ، كان يحملها ، إلى منزله . فى بادىء الأمر ، ترددت الفتاة ، لكنها استجابت بعد ذلك لطلبه خاصة عندما رأته يتكىء على عصا أثناء سيره ، فحملت عنه بعض الحقائب ، وسارت معه إلى المنزل تلبية للواجب الإنسانى .

صعدت الفتاة سلم المنزل الخارجي ، ووضعت الحقائب أمام باب الشقة ، ثم همّت بالانصراف ، لكن الرجل سريعاً ما استوقفها طالباً منها أن تكمل معروفها وتحمل الحقائب إلى داخل الشقة ، وأمام إصراره لم تجد بُداً من أداء تلك المهمة ، فحملت الحقائب ، ودخلت الشقة ..

وما أن دخلت الفتاة شقة الرجل حتى اتضحت لها نواياه الحقيقية ، فقام بجذبها إلى الأريكة لتجلس بجواره وطلب منها أن تتخلى عن معطفها . لم تحتمل الفتاة أكثر من ذلك ، فقامت بدفعه دفعة قوية وجرت ناحية الباب ، لكن الرجل لاحقها بسرعة ، وراح يقبلها ويعبث بها كالمجنون .

لكن لحسن حظ الفتاة ، أن الصدفة أرادت أن تنقذها من ذلك الموقف ، فأثناء اشتباكها معه ، دق جرس التليفون ، فارتبك الرجل ، وذهب عنها للرد على التليفون ، فكانت فرصة ثمينة لها تمكنت بها من الفرار خارج المنزل متوجّهة إلى مكان عمل إحدى صديقاتها ، القريب من تلك المنطقة ، ومن هناك ، أمسكت بسماعة التليفون لتخبر قسم الشرطة بكل ما حدث .

تم القبض على الرجل والتحقيق معه ، ولكن سريعاً ما تم الإفراج عنه ، بعد أن ثبت تمتعه بالحصانة الدبلوماسية !

وبعد علم سفارته بذلك الحادث ، أعلنت عن استنكارها له ، فذكر متحدث باسم السفارة ، تعليقاً على ذلك الحادث قائلاً : «كل هذه القصة هي مجرد كذب في كذب ؛ فذلك الرجل المتهم بهذا العمل الفاضح لا يستطيع حتى إيذاء فراشة !، فمن المؤكد أنه لم يدعها إلى منزله ولم يؤذها بأى حال من الأحوال» .

ثم علل المتحدث بعد ذلك ما حدث قائلاً : إنه فى وقت حدوث ما

ادعته تلك الفتاة ، كان بمنزل عضو السفارة عامل يقوم ببعض الترميمات فى دورة مياه المنزل ، وقد ذكر ذلك العامل أنه قد سمع الرجل يتحدث إلى فتاة فى ردهة الشقة لكنه أكد أنه لم يسمع أو يرى أى شىء مما ذكرته الفتاة !!

ولكن لم يكن أمام الجميع إلّا تصديق ما قاله متحدّث السفارة سواء شاءوا ذلك أم أبوا ، فما عساهم أن يفعلوا ؟!

ومضت الفتاة الصغيرة آسفة حزينة على كل ما حدث ، ولم يكن أمامها إلّا محاولة أن تنسى ذلك الحادث المؤسف ..



أسياد وعبيد

وراء الأبواب المغلقة فى مختلف دول العالم يحيا المئآت كالعبيد يذوقون مرارة العيش وهوانه ، ولا يدرى عنهم أحد شيئاً . حرمهم أسيادهم من أبسط سُبل الحياة الكريمة ، وعذّبوهم ، وضربوهم ، بل واغتصبوهم ، فى بعض الأحيان . وما عساهم أن يفعلوا حتى لو تمكنوا من الهرب ، فإلى أين يهربون ؟. حتى بلادهم الأصلية صارت محرّمة عليهم بعد أن احتجز منهم أسيادهم « جوازات السفر » .

هؤلاء البؤساء هم خدم بعض الدبلوماسيين الذين سافروا معهم من بلادهم الأصلية إلى مواطن أخرى حيث يقيم الدبلوماسى وعائلته ، وأغلبهم من الإناث .

◄ **من يمسح دموع (ع) ؟**

فى سبتمبر ١٩٨٦ ، دخل أ . ن . أ ، الأفريقى والطالب بإحدى جامعات واشنطن دى سى ، إلى «السوبر ماركت» ، وبينما كان يجول فى المحل ، سمع فتاة تتحدث إلى أحد الرواد بنفس لغة بلده ، وهى تبكى وتتألم ، وتحاول أن تشرح إلى من تتحدث إليه ما تريد أن تعبّر عنه ، ولكن دون جدوى . فاستدار أ . ن والتفت إلى مصدر الصوت ليجد فتاة فى العشرينات من عمرها عارية القدمين ترتدى ثياباً خفيفة بالية وكانت تبدو قلقة خائفة . ولكن سرعان ما تبدد خوفها حين سمعت صوت أ . ن فأدركت أنه من نفس جنسيتها ، وبالطبع راح يسألها عما حلّ بها ولماذا تبكى .. فبدأت الفتاة تحكى له قصتها المؤلمة ..

تلك الفتاة هى ع . م ، عمرها ٢١ سنة جاءت إلى الولايات المتحدة

منذ سنتين لتعمل خادمة عند ع . هـ ، سكرتير أول سفارة إحدى الدول الأسيوية . وطوال تلك الفترة ، كما روت ع . م ، كانت تعمل حوالى ١٢ ساعة فى اليوم وفى جميع أيام الأسبوع ، دون أن تتقاضى أى أجر عن ذلك بل حرمت من كل شيء ؛ من الثياب ومن الطعام ، إلّا ما تبقى من فضلات أسيادها ، بل حرمت من حريتها أيضاً ، فقالت « ع » : إنها طوال فترة عملها فى ذلك البيت لم تخرج من المنزل مطلقاً إلّا مرة واحدة حين ذهبت مع سيدتها إلى « السوبر ماركت » لنقل بعض الأشياء .

وأخيراً استطاعت الفرار من ذلك السجن ، وكان كل ما تعرفه من معالم حولها هو ذلك « السوبر ماركت » الذى جاءت إليه من قبل ، فذهبت إليه لعلها تجد شخصاً تعرفه أو تتحدث إليه عما أصابها ، فلعله يستطيع أن يساعدها فى محنتها ..

وكأن العناية الإلـٰهية قد استجابت لرغبة تلك البائسة ، فقابلت ا . ن الذى اصطحبها معه إلى منزله ، حيث يقيم هو وزوجته وطفله الصغير .

اتصل ا . ن ببعض أفراد جالية بلاده ليبحث معهم موضوع ع . م ، فأجمعوا على الاتصال بأحد المحامين المختصين بشئون الهجرة والذى ساعدهم فى بعض إجراءات الهجرة بالنسبة لهم .

بعد أن استمع المحامى لقصة (ع . م) ، قام بالاتصال بـ ع . هـ ، وطلب منه الحصول على جواز سفر ع . م ومتعلقاتها ، لكنه رفض .

فقرر الجميع عرض مشكلة ع . م على إدارة الولاية لبحث الموضوع .

قال ع . هـ . للمسئولين بإدارة الولاية إنه طوال فترة إقامة ع . م كان يقوم شهرياً بإرسال مبلغ ١٥٠ دولاراً إلى أهلها فى بلادها ، وهو يعتقد أنه مبلغ مناسب جداً لهم ، وقال إنه إذا كانت ع . م لا تريد الإقامة لديه ، فهو المسئول عن وجودها فى الولايات المتحدة ، وليس من حق غيره أن يرسلها إلى أهلها .

وبعد فترة طويلة من المباحثات ، استطاعت إدارة الولاية أن تحصل على جواز سفر ع . م ومتعلقاتها ، وأن تعيدها مرة أخرى إلى بلادها ، بعد رحلة طويلة ذاقت فيها العذاب ...

◄ رفقاً .. أيها الأسياد :

قد تكون قصة ع . م غريبة وغير مألوفة بالنسبة إلى ا . ن ، لكنها عكس ذلك بالنسبة للمحامى المختص بشئون الهجرة ، فدنون جوتجهر ، فقد سمع قصصاً أخرى مشابهة من بعض موكّلين الذين أرادوا هم الآخرون النجاة من بطش أسيادهم من الدبلوماسيين .

فمن ضمن تلك القضايا التى عاشها جوتجهر ، هى قضية روزالبا التى كانت تقوم بخدمة عائلة أحد الدبلوماسيين فى واشنطن ، فبعد انتهاء مهمة ذلك الدبلوماسى ببوليفيا ، جاء إلى الولايات المتحدة ليتسلم عمله الجديد مصطحباً معه خادمة بوليفية هى روزالبا والتى دخلت الولايات المتحدة بتأشيرة دبلوماسية على أنها خادمة لرجل دبلوماسى ، ولكن فى الحقيقة أنها كانت تأشيرة بالسجن الطويل ، فقد عاشت فى منزل الدبلوماسى أكثر من سنة لم تخرج من المنزل إلّا مرة واحدة حين اصطحبت أبناءه إلى أحد الملاعب المجاورة . ولم تتقاض روزالبا عن عملها الذى استمر طوال أيام الأسبوع أى أجر ، وعاشت ذليلة بائسة تحلم بالهرب من ذلك السجن . ولكن حتى لو تمكنت من الهرب فلن تتمكن من العودة إلى بلدها بعد أن احتجز منها سيدها جواز السفر .

ولا يمكن أن تنسى روزالبا تلك الأيام العصيبة التى مرّت بها حين كانت تشكو من مرض خطير بلثة أسنانها ، كان يحتاج إلى ضرورة إجراء جراحة لها وإلّا عاشت مهددة بفقد كل أسنانها وتركيب أسنان صناعية فى هذه السن الصغيرة ، وبالرغم من نزيف اللثة المتكرر وظهور علامات الإصابة بوضوح لم يسأل عنها أحد على الإطلاق !

فى مرة أخرى ، خرجت روزالبا مع أبناء الدبلوماسى إلى الملعب المجاور للمنزل ، وشاءت الظروف أن تلتقى هناك بخادمة أخرى من بوليفيا ، فكانت سعادتها لا توصف بذلك اللقاء وسريعاً ما راحت تحكى لها قصتها ورغبتها فى الفرار والعودة إلى بلدها . فشجّعتها الصديقة على ذلك ، وأشارت عليها بعد الهرب بلقاء محاميها جوتجهر الذى عهدت له هى الأخرى بقضية مشابهة ، حتى يتمكن من مساعدتها فى المضى خارج البلاد . وبالفعل تمكنت روزالبا من الهرب ، والتقت بجوتجهر الذى اتصل بالدبلوماسى لمناقشة أمر روزالبا ، لكنه رفض الحديث عن أى شىء ، وطلب من جوتجهر ألّا يتدخل مرة أخرى فى أمور لا تعنيه . لكن المحامى العنيد ظل على موقفه ، مصمماً على كسب قضية تلك البائسة .

واستمرت مشكلة روزالبا قائمة لفترة طويلة ، فقد شملت تلك القضية ثلاثة أطراف ، مما زادها تعقيداً ؛ فأبدى المسئولون فى سفارة بوليفيا عن استيائهم الشديد لسلوك الدبلوماسى ورفضه تسليم روزالبا جواز السفر ، وفى نفس الوقت أصرت سفارة الدبلوماسى على موقفها ، كما لم تتخذ الحكومة الأمريكية أى موقف إيجابى .

ولكن استطاع ذلك المحامى الذكى أن يلجأ إلى إثارة الرأى العام حول تلك القضية ، فلجأ إلى التليفزيون واستطاع أن يحكى قصة روزالبا على الجميع من خلال أحد البرامج التليفزيونية ، مما سبب مزيداً من الضغط على سفارة ذلك الدبلوماسى لحل مشكلة تلك الفتاة البائسة .

وأخيراً تم عقد اجتماع شمل جميع الأطراف المتنازعين ، فكان يضم ذلك الدبلوماسى ، وبعض أعضاء سفارة بوليفيا ، وبعض المسئولين فى مجلس إدارة الولاية ، إلى جانب روزالبا ومحاميها جوتجهر . وكانت نتائج الاجتماع طيبة للغاية ، حيث تم الاتفاق على أن يدفع الدبلوماسى كل المبالغ المستحقة لروزالبا نظير خدمتها له لمدة عام والتى بلغت ١٢٠٠ دولاراً ، أى بمعدل ١٠٠ دولار شهرياً ، كما كان قد اتفق معها على ذلك من قبل ،

لكنه لم يعطها أى مبلغ ! ، كذلك سلّم الدبلوماسى جواز السفر إلى روزالبا وجميع متعلقاتها .

وعادت روزالبا إلى بوليفيا بعد أن لعبت الصدفة دوراً كبيراً فى إطلاق سراحها من ذلك السجن بفضل محاميها الماهر جوتجهر .

وقد علّق جوتجهر تعليقاً على تلك القضية بقوله : « إننى أردت فى هذه المرة أن أتعدى نطاق عملى وأن ألجأ بقضيتى إلى الرأى العام حتى أستطيع أن أحرر تلك الفتاة المسكينة من بطش أسيادها . وإننى على يقين أن هناك الكثيرين ممن لديهم نفس الظروف التى مرت بها روزالبا ، ولكن للأسف أن القليل جداً منهم هو من تتاح له فرصة النجاة ، فمعظم هؤلاء الخدم لا يعرفون اللغة الإنجليزية ، بل إنهم قد لا يعرفون أيضاً كيف يستعملون التليفون ، وهم غير مدركين تماماً لحقوقهم المشروعة ، وعن أقل أجر يمكن أن يتقاضوه فى هذه البلاد .

وللأسف أن بعض الدبلوماسيين قد استغلوا ذلك أسوأ استغلال وتحكموا فيهم كأنهم فوق المساءلة ، بفضل حصانتهم الدبلوماسية .

كذلك أحب أن أشير إلى أنهم إذا كانوا يتصرفون مع خدَمهم على هذا النحو فى بلادهم ، فلا يحق لهم إطلاقاً أن يسلكوا نفس هذا السلوك فى أمريكا .

وأحب أن أشير أيضاً إلى أن مثل هذا السلوك يندر أن يحدث فى السفارة الفرنسية أو الإنجليزية ، فمعظم القضايات التى تناولتها والتى تتناول نفس المشكلة تختص بسفارات دول العالم الثالث ، ولكن للأسف لا نستطيع إلّا أن نفعل القليل فحصانتهم الدبلوماسية تحميهم دائماً من أى شىء » .

ومن القضايا الأخرى المماثلة التى حكى عنها جونجهر واستطاع أن يحرز فيها نصراً كبيراً هذه القضية ، والتى توضح كيف أن البعض قد استغل مكانته الوظيفية التى لا تعطيه الحصانة الدبلوماسية الكاملة فى استعباد هؤلاء الخدم . إنها قضية جايينا كاماكو لوبيز .

جاءت لوبيز من بلدتها بوليفيا واشنطن فى أكتوبر ١٩٧٦ برفقة السيد والسيدة مارتينز ، حيث يتسلم الإثنان عملهما فى أمريكا ، فيعمل ما نويل مارتينز فى إحدى شركات الطيران الأمريكية ، بينما تعمل روزا مارتينز بمنظمة الصحة الأمريكية . وكتقليد دولى ، يحق لهما فى هذه الحالة كالدبلوماسيين أن يصطحبا معهما خادمهما الخاص بتأشيرة دبلوماسية A-3 .

كانت لوبيز فى التاسعة عشرة من عمرها ، غير متعلمة ، وتنتمى إلى بيئة فقيرة تماماً ، وكغيرها ممن يعيشون تلك الظروف كانت تحلم من حين لآخر بمعجزة تنقذها من هذا الفقر وتمنحها مستقبلاً أفضل .

فما كان أبلغ سعادتها حين عرضت عليها عائلة مارتينز أن تسافر معها إلى أمريكا لرعاية أبنائها الثلاثة . فها هى الفرصة قد حانت لتخرج لوبيز من فقرها لتعيش فى أمريكا ، بلد الحرية والمال ، بل والأكثر من ذلك أنها ستتقاضى مرتباً سخياً كل شهر وسيكون لها جناح خاص ، كما وعدها مارتينز . فما كان يحق لها بعد ذلك العرض السخى أن تتردد لحظة واحدة فى قبوله .

فقامت روزا مارتينز بإخطار منظمة الصحة الأمريكية التى تعمل بها عن اصطحابها للوبيز كخادمة لها أثناء إقامتها فى أمريكا . ولأن كل العاملين بتلك المنظمة يعتبرون كدبلوماسيين ، قامت المنظمة بإخطار إدارة الولاية ، حيث قامت بإرسال اسم لوبيز إلى السفارة الأمريكية وتم إصدار

تأشيرة دبلوماسية لها .

وصلت لويز لأمريكا وكانت تشعر بالانبهار الشديد من الحياة الجديدة المثيرة ، والمختلفة تماماً عن حياتها فى بوليفيا .

وبدأت لويز أداء العمل الذى جاءت من أجله ، وهنا بدأ يخيب ظنها وأدركت تدريجياً أنها خُدعت كثيراً فى تلك العائلة ؛ فكانت لويز تعمل حوالى ١٢ ساعة يومياً وطوال أيام الأسبوع ، وحرّم عليها مغادرة المنزل بأى حال من الأحوال ، فلم تر الحياة خارج منزل مارتينز إلا مرات تُعد على الأصابع حين كانت ترافق أحد أفراد العائلة فى بعض المهام . بل والأكثر من ذلك أنها حرمت داخل المنزل من أى ترفيه أو راحة أو طعام جيد ، حتى مرتبها الشهرى لم تكن تتقاضاه بالمرة ، وقد مر عليها شهور عديدة فى العمل .

فصارت كالعصفور السجين تحلم بالهرب من وقت لآخر من سجنها ، ولكن كيف يمكنها ذلك ؟ وإلى أين تهرب ؟ وقد صارت غريبة فى بلد غريب ، كما أن عائلة مارتينز احتجزت منها جواز السفر وكل متعلقاتها .

مرت ثلاث سنوات على ذلك الحال دون أى تغير فى معيشة لويز ، حتى تمكنت بالصدفة البحتة فى صيف ١٩٧٩ من التعرف على محام آخر متخصص فى قضايا الهجرة هو كينيث ويكستين ، الذى استمع لقصتها ووعدها بأن يساعدها فى الخروج من هذا المأزق والعودة إلى بلدها ، فبدأ الأمل يتولد من جديد فى نفسها ، وطلبت من عائلة لويز إعطائها ما تستحقه من نقود ، لكن الزوجين رفضا تماماً أن يدفعا إليها أى شىء .

هربت لويز من المنزل ، واستطاعت بمساعدة ويكستين أن تحصل على عمل آخر كعاملة نظافة فى منطقة أخرى من واشنطن ، وبدأت تحس

بالراحة والسعادة فى عملها الجديد . فى نفس الوقت ، قام ويكستين برفع دعوى على عائلة مارتينز مطالباً برد المبالغ المستحقة للوبيز عن مدة خدمتها بمنزل العائلة .

وبالرغم من أن عمل روزا مارتينز يمنحها الكثير من مميزات الحياة الدبلوماسية بما فى ذلك حقها بجلب خادمة لها من خارج البلاد ، لكنها لم تكن محصنة ضد القضايا المدنية ، فهى كعاملة بمنظمة دولية لا تعتبر حصانتها حصانة كاملة لكنها محددة فقط لمهام العمل الرسمية . فانزعج الزوجان حين علما بأمر هذه الدعوى ، بل كادا يغشى عليهما حين حكمت المحكمة بإجبارها على دفع مبلغ ٥٦ ألف دولار للوبيز عن خدمتها لهما لفترة ثلاث سنوات ، وقد احتُسِبَ ذلك المبلغ عن تلك المدة ، بناء على قيمة الحد الأدنى للأجور .

وكان من الصعب فعلاً على الزوجين دفع كل ذلك المبلغ مرة واحدة ، لكن بالرغم من كل ما ذكره الزوجان أمام المحكمة عن ظروفهما المادية ، وعن حياة لوبيز معهما ، حيث ادعى الزوجان أنها كانت تعيش بينهما كأحد أفراد العائلة ! ، لم يكن أمامهما فى النهاية إلّا الاستسلام لحكم المحكمة ودفع المبلغ المقرر للوبيز بأى حال من الأحوال .

وتعتبر قضية لوبيز من القضايا النادرة التى استطاع فيها المجنى عليه أن يسترد حقوقه ، أو على الأقل أن تناقش قضيته داخل المحكمة ، وذلك لعدم تمتع عائلة مارتينز بالحصانة الدبلوماسية الكاملة .

أما فى معظم القضايا الأخرى التى كانت تتعلق بالدبلوماسيين المحصنين حصانة كاملة ، فلم يسترد المجنى عليه أى شىء من حقوقه ــ أو حتى أدنى هذه الحقوق ــ فحصانتهم الكاملة تحميهم تماماً من المثول أمام المحاكم ومن أى قضية مدنية تثار ضدهم .. فلا يبقى للمجنى عليه إلّا حُكم ضميرهم ..

التّهرّب الكبير

استطاع قلة من الدبلوماسيين أن يستغلوا مكانتهم المرموقة وثقة الآخرين بهم فى التّهرب من وعودهم ، محتمين بحصانتهم المنيعة . فتهربوا من سداد ديونهم ، ودفع إيجار مسكنهم وسداد قيمة مشترياتهم ، بالرغم من الثراء الفاحش الذى تمتع به بعضهم ..!

◄ **... وهنيئاً للحصانة ..**

من أبرز الأمثلة التى توضّح ذلك ما قام به أحد الأثرياء عندما أراد تجديد « ديكور » منزله الأنيق . عاش ذلك الثرى فى لندن ما يقرب من ١٣ سنة ، وبالرغم من أن انتمائه للعمل بالدبلوماسية لم يكن واضحاً على وجه التحديد ؛ حيث كانت معظم أنشطته قائمة على العمل الخاص ، لكنه كان مقيداً بالسفارة كعضو مساعد ، وكان يتمتع بالحصانة الدبلوماسية الكاملة ! .

ففى أواخر عام ١٩٨٣ ، اتفق الدبلوماسى مع ر . ف وزوجته جورجينا ، وهما من أشهر مصممى الديكور فى لندن ، على تجديد ديكور منزله الفخم فى لندن ، والذى بلغ إيجاره الأسبوعى ٧٠٠ دولار .

فى بادىء الأمر ، تمت عدة لقاءات بين ر . ف وزوجته وبين الدبلوماسي الثرى وفتاة أخرى عرفت على أنها صديقته ، وذلك للتعرف على وجهة نظر الثرى فيما يرغبه من تجديد ، واختيار الألوان والأذواق التى يراها تناسبه . وأخيراً تم الاتفاق على كل شىء ، وكان جميع ما اختاره الدبلوماسي لديكور منزله من أشياء ، « كورق حائط وموكيت » . وما إلى ذلك ، من أغلى الأنواع وأجودها . والآن لم يبق سوى العمل وتنفيذ المهمة .. ذلك العمل الذى لا يمكن أن ينساه ر . ف وزوجته .

فبعد أن قاما بشراء الأشياء التى اتفقا عليها مع الدبلوماسى الثرى ، على نفقته ، وقاما بتنفيذ ديكور المنزل على أكمل وجه ، لاقى إعجاب الدبلوماسى لم يبق سوى دفع المبالغ المستحقة لهما عن قيامهما بتلك المهمة ، والتى بلغت حوالى ٦ آلاف دولار . فانتظر أن يصلهما « الشيك » من الدبلوماسي ، كما وعد ، وطال انتظارهما أسبوعاً وراء الآخر ، لكن لم يصل أى شىء ...

لم يكن أمام ر . ف فى النهاية إلّا إقامة دعوى ضد الدبلوماسى لرد المبالغ المستحقة له لديه .

فى بادىء الأمر ، ادعى الدبلوماسى أنه دفع المبلغ إلى مصمم الديكور ، ولكن لم يكن لديه دليل على ذلك .. ثم لجأ بعد ذلك إلى التهرب من الدفع بطريقة أخرى ، فبدأ يتحدث عن التلفيات التى تسبب فيها مصمم الديكور وزوجته بمنزله وما أحدثاه من خسائر خلال مهمتهما . وفى النهاية لما كانت حُجة الدبلوماسى ودفاعه عن موقفه دفاعاً واهياً ، احتمى فى حصانته الدبلوماسية ، وأعلن انسحابه من التحقيق ، وامتناعه عن الإجابة عن أى أسئلة لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية التى تحميه من رفع أى دعوى مدنية ضده . وبالفعل تمّ حفظ القضية ..

تعلم مصمم الديكور وزوجته من تلك التجربة درساً كبيراً بعد أن راح ما أنفقاه هباء من أجل تلك الحصانة الملعونة . وفشلت كل المحاولات التى قاما بها ، بعد ذلك ، لاسترداد المبلغ ، حتى أن مكتب الخارجية قد عَجَزَ عن اتخاذ أى موقف إيجابى ، فذكر متحدث باسم المكتب يقول : « لقد طلبنا من السفارة التابع لها الدبلوماسي أن تبحث هذه المشكلة ، فنحن لا نستطيع أن نفعل أى شىء » .

ولكن لم تحاول السفارة بأى طريقة من الطرق حل المشكلة ورد المبلغ المستحق إلى أصحابه . ولم يكن أمام مصمم الديكور وزوجته فى النهاية إلّا

أن ينسيا تلك التجربة المؤسفة ، وكل ما بذلاه من جهد لإعداد المنزل للدبلوماسى .. وهنيئاً للحصانة .

∞ ∞ ∞ ∞

تنتشر على الأخص مشكلة عدم رد الديون أو دفع الشيكات فى واشنطن دى . سى ، حيث تمتلىء المدينة بالعديد من السفارات والبعثات الدبلوماسية .

وأمام هذه الظاهرة ، بدأ كثير من المحلات والمتعاملين مع الدبلوماسيين رفض قبول أى شيكات منهم أو تأجيل السداد بأى حال من الأحوال .

ويذكر ميلتون ميتشل ، أستاذ القانون الدبلوماسى بجامعة جورج واشنطن ، أن هذه المشكلة قد بدأت تظهر بوضوح فى الآونة الأخيرة ، فبعض الدبلوماسيين قد اعتادوا ذلك الأمر وبجرأة وبرود شديد ، حتى أن أحد السفراء المديونين عندما طالبه الدائن بنقوده أكثر من مرة ، ما كان منه إلّا أن أخرج مسدسه وصوبه نحو الدائن قائلاً : « اخرج من هنا .. ليس لك أى نقود لدى » !!

كذلك انتشرت شكاوى الدائنين ضد بعض الدبلوماسيين فى نيويورك بدرجة ملحوظة ، مما دعا إدارة الولاية إلى عقد عدة اجتماعات مع سفراء الدول المختلفة لحل هذه الشكاوى .

ويذكر إلن باركر ، أحد المحققين فى شكاوى الدائنين ، والذى قام بعرضها خلال تلك الاجتماعات ، أن ديون الدبلوماسيين قد بلغت أكثر من ٥٠٠ ألف دولاراً فى الفترة من مارس ١٩٧٤ حتى نوفمبر ١٩٧٥ ا، وأنه استطاع بعد جهود مضنية أن يرد فقط مبلغ ٢٢٥ ألف دولار من هذه الديون إلى أصحابها ، أما باقى الديون والتى تتعلق بست جهات دبلوماسية فقد فشل فى ردها إلى أصحابها بعد تنكّر هذه الجهات لها ، وعدم مساعدته على الإطلاق ..

ولكن استطاعت إثارة الرأى العام فى بعض الحالات أن تكون وسيلة ناجحة وفعالة فى رد بعض هذه الديون إلى أصحابها بعد فشلهم فى المطالبة بها .

ففى إحدى هذه الحالات ، استطاع أحد الدائنين أن يصل إلى الصحافة ، وأن ينشر قضيته على الملأ ، ذاكراً اسم السفارة المدين لها . وما أن قام المحرر بنشر ذلك الخبر حتى وصل للدائن « شيك » بالمبلغ من السفارة ، وقبل أن يتم طبع أى نسخ أخرى من الجريدة . واستطاع الرجل بذلك أن يسترد ديونه والتى بلغت عدة آلاف من الدولارات .

◀ ***مكتب خاص لرد الديون !***

مع تعدد شكاوى الدائنين الذين فشلوا فى استرداد أموالهم من بعض الدبلوماسيين ، صارت لإدارة الولاية مهمة غريبة وخفية إلى حد ما ، وهى جمع هذه الأموال وردها إلى أصحابها ، وصار هناك قسم خاص بالإدارة لأداء هذه الوظيفة .. وبالرغم من جهود العاملين بهذا القسم لمحاولة رد الأموال إلى أصحابها ، إلّا أنهم كثيراً ما يفشلون فى هذا الغرض لإحباط جهودهم بحصانة الدبلوماسيين المنيعة ، والتى تسد فى وجوههم كل السبل للمطالبة بحقوق من ابتزت أموالهم .

وإليك عرضاً لبعض الحالات التى وردت لذلك القسم بإدارة الولاية ، وحاول أن يحلّها ، والتى توضّح مدى الجهود التى يبذلها ذلك القسم فى التفاوض مع الجهات الدبلوماسية لرد هذه الديون .

● تتعلق هذه الحالة بأحد الدبلوماسيين التابعين لبوليفيا ، والذى تهرّب من دفع مبلغ ٣٥٠ دولاراً لصاحب محل ، نظير ما اشتراه من بضائع ، وذلك فى نوفمبر ١٩٨٢ . وبالرغم من النداءات المتكررة التى طالب فيها صاحب المحل ذلك الدبلوماسى برد المبلغ المستحق له ، والتى استمرت

لعدة شهور منذ ذلك التاريخ ، فلم يعبأ الدبلوماسى حتى بالرد عليها . وفى النهاية ، لم يجد صاحب المحل أمامه سوى أن يتصل بإدارة الولاية ضد مقاضاة ذلك الرجل ، لعلها تنجح فى رد حقوقه .

وبعد مفاوضات مستمرة بين مكتب الديون بإدارة الولاية وبين السفارة البوليفية ، استمرت حوالى ١٥ شهراً ، وعد السفير البوليفى بإرسال «شيك» بالمبلغ للمحل .

لكن لم يصل الشيك ولم يسترد الرجل أمواله !

وكان ذلك شيئاً مثيراً للدهشة حين علم صاحب المحل أن قضيته هى واحدة من قضايا أخرى كثيرة تتعلق برد الديون ، والتى تحاول إدارة الولاية حلها مع نفس السفارة منذ أكثر من ثلاث سنوات دون جدوى !!

● أما هذه الحالة ، فكانت تتعلق ببعض الدبلوماسيين الأسيويين ، والذين يشغلون أحد الأقسام بالسفارة الهندية فى أمريكا ، لإدارة أعمالهم ، حيث لا توجد سفارة خاصة لهم فى أمريكا .

ففى سنة ١٩٨٠ ، قام ذلك القسم عدة مرات بحجز غرف بفندق واشنطن لزواره من الضيوف ، لكن لم يقم القسم ، ولا الضيوف ، بدفع مصاريف الإقامة . وبعد مطالبة إدارة الفندق للقسم بالمبالغ المستحقة ، عدة مرات ودون جدوى ، لجأ المسئولون بإدارة الفندق إلى عرض تلك المشكلة على إدارة الولاية .

ومن الغريب أن الإدارة كانت فى ذلك الوقت ، تحاول رد أموال أخرى تتعلق بنفس الضيوف .

فى تلك القضية ، استطاع مكتب رد الديون بإدارة الولاية وبعد مفاوضات استمرت عدة شهور مع القسم أن ينجح فى رد المبلغ المستحق

لإدارة الفندق ، والتي حرصت من ذلك الوقت حرصاً شديداً في تعاملها مع الدبلوماسيين .

∞ ∞ ∞ ∞

ليست كل الأموال التي حاول مكتب رد الديون بإدارة الولاية تحصيلها مبالغ ضئيلة ، نسبيًّا ، كتلك المبالغ . ففي قضايا أخرى كثيرة ، وصلت الأموال المستحقة إلى آلاف الدولارات ، كما حدث في الحالة التالية .

◄ علاج طبي بالمجان !

في سنة ١٩٨٠ ، قام الملحق الصحفي للسفارة البوليفية بدفع مبلغ ١٠ آلاف دولار لمستشفى واشنطن المركزي ، كجزء تحت الحساب ، لعلاج سيدتين من بوليفيا من حروق شديدة ، وأخبر المسئول بالمستشفى أن باقي الحساب سيتم دفعه قريباً ، ولا مشكلة في ذلك .

وبعد العلاج الناجح الذي قدمه أطباء المستشفى للسيدتين ، والذي قدرت قيمته بمبلغ ٨٢٤٠٨ دولارات ، شاملة أجر الأطباء والإقامة والأدوية وتكاليف الجراحة ، غادرت السيدتان المستشفى بسلام ، لكن فشلت إدارة المستشفى بعد ذلك في استرداد باقي قيمة العلاج من السفارة البوليفية . فلجأ المسئولون بالمستشفى إلى إدارة الولاية لحل مشكلتهم .

وبعد عدة مفاوضات بين الإدارة والسفارة ، صرّح السفير أن دفع المبلغ هو مسئولية وزير خارجية البلاد ، وفي نفس الوقت رفضت حكومة بوليفيا سداد المبلغ . وأخيراً ونظراً لضخامة المبلغ على حكومة بوليفيا ، تمّ الاتفاق بين الطرفين على خفض قيمة المبلغ المستحق ، وإعطاء مهلة لسداده . وبالفعل تم سداد المبلغ ، ولكن بعد نفاذ صبر المسئولين بإدارة الولاية ..

∞ ∞ ∞ ∞

◀ مشكلة الشقق المفروشة ..

كما امتنع بعض الدبلوماسيين عن رد ديونهم ، فقد امتنعوا فى حالات أخرى عن دفع قيمة الإيجار المستحقة عن سكنهم ، بل والأكثر من ذلك ، أنهم فى بعض الأحيان قد تسببوا فى حدوث تلفيّات كبيرة فى مسكنهم ، كلّفت صاحب السكن آلاف الدولارات بعد أن امتنعوا عن إصلاحها ، وفى أحيان أخرى قاموا بالاستيلاء على بعض محتويات الشقة عند مغادرتها !! ونجد فى الحالات التالية توضيحاً لذلك السلوك .

● اتفق القنصل العام لجمهورية بنما - ماريو بيريز بالادراس - على استئجار مقر للإدارة فى أحد المبانى التجارية بميامى - فلوريدا ، وكانت مدة الإيجار خمس سنوات بواقع ٣٣٠١ دولاراً عن كل شهر ، أى ٣٦٣٦٢ دولاراً عن كل المدة ، التى تبدأ من ١ يونيو ١٩٧٩ حتى ٣١ مايو ١٩٨٤ .

لكن فى يونيو ١٩٨١ ، كتب القنصل العام إلى المالك هذه الرسالة : « نأسف لعدم استكمال المدة ، فنحن مضطرون إلى مغادرة المكان فى ١ أغسطس ١٩٨١ ، على اعتبار أن العقد سوف ينتهى فى ٣١ يوليو ١٩٨١ » .

ولكن لم يحدث أن غادر القنصل العام المكان ، بحجة استمرار البحث عن مكان آخر أكثر ملاءمة ، واستمر فى الإقامة فى المبنى هو وأعضاء القنصلية حوالى شهر بعد انتهاء العقد . وأخيراً انتقلت القنصلية إلى مكان آخر ، لكن لم يقم القنصل بدفع أى مبلغ عن تلك المدة الزائدة .

ومن الطريف أن بروس جوسمان ، المالك للعقار ، يذكر أن لديه فى العقار أكثر من عشرة دبلوماسيين لم يقم واحد منهم بالالتزام بدفع قيمة الإيجار المحررة فى العقد ، وربما لم يدفع بعضهم الإيجار على الإطلاق . لكنه بعد ذلك الدرس الأخير قرر ألّا يتعامل نهائياً مع الدبلوماسيين بعد ذلك ...

● فى حالة أخرى قام ممثل جواتيمالا بالأمم المتحدة باستئجار عقار للسكن ، لكن صاحب العقار قد فوجىء ، بعد غيابه لمدة عام خارج البلاد ، بإحداث تلفيات جسيمة بالعقار قدرت تكاليف إصلاحها بحوالى ١٥ ألف دولار !

وبالطبع لم يقم المستأجر بدفع أى تعويض ، فقام المالك بالاتصال ببعثة جواتيمالا ، فتم الاتفاق على رد مبلغ ٩٠٠ دولار ، للمالك أما باقى التكاليف فكان عليه أن يتحملها وحده شاء أم أبى !!

● وفى حالة أخرى ، قام أعضاء السفارة البلغارية ، فى الشارع السادس من واشنطن دى سى ، بالاستيلاء على بعض محتويات مقر السفارة ، المستأجر لهم ، عند مغادرتهم للمكان . وقد بلغت قيمة هذه الأشياء ٤٣٥٠ دولاراً .

وكان من ضمن هذه المسروقات مقابض الأبواب ، وفوانيس الإضاءة ، و « طفايات » السجائر ...!!

هذا إلى جانب ما أحدثوه من تلفيات بالمكان قدرت تكاليف إصلاحها بمبلغ ١٨٧٠٠ دولار !!

● أما فى الحالة التالية والنادرة فقد تخلت الحصانة عن أصحابها ، وعاد الحق لأصحابه .

ففى ٢٤ إبريل ١٩٧٧ ، وقّع الزوجان مستر ومسز سيمون ايلينبرج عقد شراء لمنزل مقابل مبلغ ١٤٠٠٠٠ دولاراً ، على أن يقوما بدفع مبلغ ١٠٠٠٠ دولاراً ، كمقدم للشراء ، والباقى على أقساط عند استلامهما للمنزل . لكن الذى حدث أن امتنع أصحاب المنزل بعد ذلك عن البيع وتسليم المبلغ المدفوع إلى أصحابه ، بعد أن رأت السيدة صاحبة الملك ، والتى تعمل كملحق اقتصادى بسفارة البرازيل ، أن حصانتها الدبلوماسية يمكن أن تحميها فى التهرب من رد الأموال إلى أصحابها .

لكن فى الحقيقة أن معاهدة فيينا ـ بند ٣١ ـ قد أزاحت الحصانة عن أصحابها فى حالتين هما حالة التصرف فى الملكية الخاصة التى لا تتعلق بمهمة الدبلوماسى ، وفى حالة الكسب من الأنشطة التجارية .

ففى هذه الحالة لم تعد الحصانة الدبلوماسية تحمى هذه السيدة ، فعلاوة على أنها تقوم بالتصرف فى ملكية خاصة لها ، فهى فى نفس الوقت ، تحقق نشاطاً تجارياً حيث بلغ مكسبها المقرر من بيع المنزل ٥٠ ألف دولار .

فاستطاع الزوجان فى هذه الحالة كسب القضية المقامة ضد صاحبة المنزل ، واسترداد مقدم المبلغ المدفوع ، وإن كان ذلك قد تم بعد فترة طويلة من الوقت والجهد لم يتقاضيا عنه أى تعويض ..

∞ ∞ ∞ ∞

◄ ***تجارة السيارات :***

نوع آخر من التهرّب لجأ إليه بعض الدبلوماسيين بطريقة غير مباشرة فاستغلوا حرية التصرف فى سياراتهم الدبلوماسية ، وقدرتهم على استيراد سيارات خاصة من موطنهم الأصلى ، دون قيود ودون سداد أى رسوم جمركية ، فربحوا الكثير من الاتجار فى السيارات دون رقيب وبسهولة بالغة .

● فى سنة ١٩٦٤ ، اتفق اثنان من رجال السفارة الأمريكية بالبرازيل مع أحد تجار السيارات على بيع سياراتهما الأمريكية الطراز فى صفقة مربحة لهما ، لكنهما تراجعا بعد ذلك عن تلك الصفقة . فاحتدم الأمر بينهما وبين تاجر السيارات ، وسريعاً ما تسرب أمر تلك المبايعة إلى السفارة الأمريكية . فصدرت تعليمات ، منذ ذلك الوقت ، لجميع الدبلوماسيين الأمريكيين تمنعهم من بيع سياراتهم إلّا بعد الحصول على موافقة من السفارة نفسها .

● وفى واقعة أخرى ، حَدَثَ أن استورد أحد رجال السفارة الأمريكية ست سيارات بمعدل سيارة كل أسبوع ! ولكن لم تمض سنة على تلك الواقعة ، حتى أصدرت السفارة الأمريكية قانوناً آخر يحرم على جميع الدبلوماسيين الأمريكيين استيراد أكثر من سيارة واحدة كل عام دون دفع رسوم جمركية .

وقد برزت هذه المشكلة بشكل واضح خاصة فى كندا . ففى الخمسينات كان يصعب على الكنديين استيراد السيارات من أمريكا ، وفى نفس الوقت كانت السيارات الأمريكية مفضلة جداً للكنديين لثمنها الرخيص وطرازاتها المختلفة . فقام بعض أعضاء سفارات أمريكا اللاتينية فى أتاوا باستيراد عدد كبير من السيارات الأمريكية دون دفع أى رسوم جمركية وعلى فترات متقاربة من الزمان ، واستطاعوا أن يحققوا ربحاً وفيراً من الإتجار بها .

حتى فى داخل كندا ، فشراء عربة جديدة يستلزم دفع مبلغ كبير من المال للضرائب ولرسوم التسجيل مما قد يزيد عن طاقة المواطن العادى ، أما بالنسبة للدبلوماسيين فليست هناك أية مشكلة فى ذلك . فقام بعض الدبلوماسيين بشراء سيارات دون دفع أى رسوم إضافية ثم قاموا ببيعها مرة أخرى بأسعار أغلى فكسبوا الكثير من هذه التجارة المربحة .

oo oo oo oo

وقد انتشرت ظاهرة الاتجار فى السيارات خاصة بين بعض الدبلوماسيين الذين ينتمون لدول العالم الثالث ، فاستيراد مثل هذه السيارات الفاخرة لبلادهم ، يتكلف الكثير والكثير مما يفسح أمامهم طريقاً عريضاً للكسب يعوضهم عن رواتبهم القليلة نسبياً والتى تدفعها لهم بلادهم ، ومما يشجعهم أكثر على المضى فى هذا الطريق أن معظم سفارات هذه الدول ليس لديها القوانين والتشريعات الحازمة التى تحدد سلطات الرجل

الدبلوماسى وكأنها تشجعهم على المضى فى هذا الطريق . فى حين أن كثيراً من الدول المتقدمة قد تصدت لهذا السلوك بشكل حازم . ففى فرنسا الآن قانون يحرم على الدبلوماسى أن يبيع سيارته نهائياً ، فيجب عليه أن يقوم بتسليم سيارته وجميع متعلقاته الدبلوماسية بعد انقضاء فترة المهمة . وفى بريطانيا ، يمكن للدبلوماسى أن يقوم باستيراد سيارة واحدة خلال أول ثلاثة شهور من توليه المنصب ، كما يجب عليه أيضاً أن يقوم بتسليم سيارته مرة أخرى بعد انقضاء المهمة . وفى كندا ، لا يجوز استيراد أى سيارة تخص أحد الرجال الدبلوماسيين دون تقديم شهادة تفيد ضرورة ذلك ويقوم بالتوقيع عليها رئيس المهمة .

oo oo oo oo

◄ *أنشطة تجارية أخرى :*

من الأنشطة التجارية الأخرى التى استهوت بعض الدبلوماسيين ، غير تجارة السيارات ، هى الاتجار فى البضائع المختلفة كالسجائر والخمور وغيرها ..

فاستوردوها بمبالغ زهيدة وباعوها بمبالغ باهظة . فاستورد أحد الدبلوماسيين الأوروبيين فى أمريكا ١١ « بيانو » خلال سنتين فقط !!

● وفى سنة ١٩٦٠ قام بعض بحّارة الأسطول السابع الأمريكى التابع للسفارة الأمريكية فى لندن ، ببيع كميات ضخمة من الخمور والسجائر المعفاة من الرسوم الجمركية . ومن الغريب أنه تم التحقيق مع أحد المواطنين الذى قام بشراء تلك الأشياء من رجال الأسطول ، فى حين تم الإفراج عمن باعوا له تلك الأشياء بعد أن ثبت تمتعهم بالحصانة الدبلوماسية !، لكنهم لم ينجوا من العقاب العسكرى ، فتم عزلهم من مناصبهم .

● وفى أكتوبر ١٩٧٦ ، تم التحقيق مع بعض الدبلوماسيين من رجال الجيش الكورى لتورطهم فى تجارة كمية كبيرة من السجائر والخمور

والماريجوانا أثناء مهمة لهم فى الدانمارك والسويد . وينص قانون فيينا على أن جلب أى بضائع من خارج البلد يكون فقط للاستخدام الشخصى . ومن الطريف أنه عندما واجه المحققون أحد هؤلاء الكوريين بنص هذا القانون ، ادعى استخدامه الشخص لذلك الكم الهائل من السجائر المعفاة من الرسوم الجمركية التى ضبطت معه والتى بلغ عددها ٢ ½ مليون سيجارة !!

وفى الهند ، وخلال خمسة الأعوام الماضية ، تم التحقيق مع ما يزيد عن ٣٥ دبلوماسياً بعد أن ثبت تهريبهم لكميات هائلة من البضائع إلى داخل البلاد بغرض الاتجار بها ، وقد تم العثور فى منزل أحدهم بالهند ، وهو أمريكى الجنسية ، على بضائع مهربة تقدر بحوالى ٢ مليون دولارا، لكنه لم يلق أى عقاب بعد أن ثبت تمتعه بالحصانة الدبلوماسية . لكن فى أمريكا تم التحقيق معه فى تهمة أخرى ، وهى تهربه من الضرائب ، فقد اتضح أنه بلغ مقدار كسبه غير المشروع خلال سنة ١٩٨١ من عمله فى الهند حوالى ٣٥ ألف دولار ، كما حقق أرباحاً تقدر بمبلغ ١٠٠ ألف دولار أمريكى فى الفترة بين نوفمبر ١٩٨٠ ونوفمبر ١٩٨٢ ، لكنه أودع هذه المبالغ فى أحد بنوك هونج كونج ، حتى يتمكن من التهرب الضريبى . وتم التحقيق معه فقط فى هذه التهمة ، ولكن لم تتم إدانته على أعماله غير المشروعة فى الهند .



الجانب الآخر للجريمة الدبلوماسية

فى سنة ١٩٧٧ ، عندما ناقش الكونجرس الأمريكى مشروعاً بتعديل قوانين الحصانة الدبلوماسية بعد أن استغلها بعض الدبلوماسيين الأجانب بطريقة غير مشروعة تسىء إلى بلادهم ، سأل بعض الحاضرين هذا السؤال : وماذا يحدث إذا استغل أحد الدبلوماسيين الأمريكيين حصانته ، وقام بأعمال غير مشروعة تسىء إلى بلد أجنبى آخر ..؟!

فعلى الرغم من أن معظم الجرائم الدبلوماسية ، التى ذكرت فى هذا الكتاب ، قد جرت على أرض أمريكا ، وبيد دبلوماسيين أجانب ، إلّا أن بعض الدبلوماسيين الأمريكيين لهم انحرافاتهم الخاصة هم الآخرون ، وإن كانت هذه الانحرافات محدودة أو نادرة ، كما ادعى البعض .

بناء على ذلك تمّ الاتفاق على خلع الحصانة الدبلوماسية عن أصحابها إذا استغلوها بطريقة تسىء إلى البلد الأجنبى الآخر ، إلّا فى « ظروف معينة » ... ! لكن لم تحدد هذه الظروف ، وظلت مبهمة ..

لكن من الواضح أن الحكومة الأمريكية لا تحاول التعدى على حصانة أحد من دبلوماسييها إذا استغل حصانته بطريقة سيئة طالما كان ذلك الاستغلال يخدم مصالح بلاده ، أما عكس ذلك فقد تُخلع الحصانة عن أصحابها ، وهذا قد يفسّر لنا معنى هذه « الظروف المعينة » .

● ففى السنوات الأخيرة ، اتهم عدد من الدبلوماسيين الأمريكيين بالتجسس لحساب بلادهم ، حتى أنه فى سنة ١٩٨١ فقط ، اتهم سبعة دبلوماسيين أمريكيين بالتجسس فى موزمبيق وزامبيا وجنوب أفريقيا . وبالرغم من ذلك لم تمس الحكومة الأمريكية حصانة أحد من أولئك الدبلوماسيين بالرغم من طرد البلاد المضيفة لهم .

● حادث آخر يوضح ظرفاً خاصاً من هذه الظروف ، كان يتـ
بالعقيدة الإسلامية ، والتي أراد لها الكثيرون الدمار ، لكنها ستبقى راسخة
فى نفوس المسلمين ، بإذن الله مهما أراد لها الغرب غير ذلك .

ففى إحدى الدول الإسلامية ، ضبط دبلوماسى أمريكى وهو يشرب الخمر علانية وأمام المارين ، كأنه يسخر منهم ومن عقيدتهم التى جعلت شرب الخمر واحدة من الكبائر .

وإن كان ذلك الفعل لا يعد خرقاً للقوانين فى أمريكا ، لكنه يعتبر جريمة كبرى فى بلد إسلامى عريق كالذى وقعت فيه هذه الواقعة ، حيث يُعاقَبُ عليها بالجلْدِ علانية ، مع السجن لمدة عام .

وعلى الرغم من ذلك الانتهاك الواضح لحرمة هذه الأرض الإسلامية ، غضت السفارة الأمريكية طرفها عن ذلك الحادث ، ولم تحرم ذلك الدبلوماسى من حصانته فى ذلك « الظرف الخاص » ، وإن اضطرت فيما بعد لإعادته إلى بلده حتى تهدأ الأمور ..

● وفى حالة أخرى مشابهة ، اتُّهم أحد البحارة الأمريكيين ، والمقيد بالسفارة الأمريكية فى إحدى دول شمال أفريقيا ، بقتل سيدة من تلك الدولة ، كان على علاقة بها .

وإن كان زوج تلك السيدة هو القاتل الحقيقى ، كما اتضح فيما بعد ، لكن السلطات وجهت للأمريكى تهمة أخرى هى ارتكاب جريمة الزنا مع تلك السيدة .

ولا يُعدّ ارتكاب الزنا جريمة فى أمريكا ولا يعاقب عليه القانون ، لكنه فى البلاد الإسلامية يُعد جريمة كبرى يعاقب عليها بالرجم بالحجارة حتى الموت .

وفى ذلك « الظرف الخاص » أيضاً ، لم يُحرم ذلك الدبلوماسى من حصانته ، ولكن تم إعادته إلى أمريكا ، بعد ذلك ..

◀ شبكة عالمية للتجسس :

فى هذه الحالة ، اتسع نطاق « الظروف الخاصة » إلى حد كبير ، كما حدث فى حالة جيمس ماير انجلى وزوجته ، والتى تناولتها بعض الصحف العالمية ، وجعلت من انجلى كوميديا مضحكة استمرت على صفحاتها لعدة شهور .

عاش انجلى فى لندن مرافقاً لزوجته التى تعمل فى الحقل الدبلوماسى فى وظيفة غير محدّدة تماماً ، فقد « حشرتها » الحكومة الأمريكية ضمن بعثتها لأداء مهمة أخرى خفية بالاتفاق مع حكومة تاتشر ، وهى مساعدة ضباط مكتب المخابرات الإنجليزية فى التجسس على معظم دول أوروبا من خلال قاعدة شيلتنهام الإلكترونية . فبالرغم من امتلاك الحكومة الإنجليزية لتلك القاعدة الإلكترونية الضخمة لم يكن لديها الأقمار الصناعية الخاصة بها والتى تمكنها من التقاط ما يدور فى معظم دول أوروبا ، فاستعانت فى ذلك بالتكنولوجيا الأمريكية . وفى نظير ذلك ، كانت تقوم مسز انجلى فى مكان ما من خلال تلك الشبكة ، بإرسال هذه المعلومات إلى واشنطن .

ولكن لسوء الحظ ، أن زوج مسز انجلى كان لديه بعض العادات السيئة ، التى تَنفِرَ منها سكان المنطقة التى عاش فيها هو وزوجته ، والتى تتعصب بشدة لتعاليم الكنيسة . فكان شاذاً ، يهوى الفتيات الصغيرات ..

وفى ديسمبر ١٩٨٥ ، تلقى رجال الشرطة فى لندن ، بلاغاً من إحدى الأمهات تتهم فيه انجلى بالاعتداء على طفلتها البالغة من العمر ٦ سنوات !، فتم القبض عليه والتحقيق معه ، فى ذلك الحادث الذى سريعاً ما تسرب أمره إلى الصحف .

لم يكن أمام انجلى فى ذلك الموقف الصعب ، الذى يمكن أن يزج به إلى

السجن لسنوات طويلة ، إلّا أن يعلن عن حصانته ، التى يتمتع بها عن طريق زوجته الدبلوماسية . لكن لم يشأ مكتب الخارجية فى لندن ولا السفارة الأمريكية أن يعلن عن حقيقة عمل مسز انجلى .

جرت بعد ذلك سلسلة طويلة من الأحداث غير مفهومة تماماً . لكن فى النهاية ، وأمام الضجة الكبيرة التى ثارت حول ذلك الحادث ، اتفق مكتب الخارجية الإنجليزية مع الحكومة الأمريكية على عدم خلع الحصانة عن انجلى وزوجته ، حتى يستطيع أن ينجو الزوج من العقاب ، كما اتفقا على عودتهما إلى أمريكا حتى تهدأ الضجة .

لكن لم يهدأ فضول بعض الصحفيين المهرة تجاه ذلك الحادث الغريب الذى لم تشأ فيه الحكومة الإنجليزية ولا الحكومة الأمريكية أن توضح حقيقة ما جرى . فاستطاعوا أن يزيحوا الستار عن تلك المهمة التى جاءت من أجلها مسز انجلى إلى لندن . ذلك الخبر الذى لقى احتجاجاً كبيراً من الشعب الأمريكى والشعب الإنجليزى ، والذى سارعت حكومة كل من البلدين بتكتمه ..



وماذا بعـد .....؟

من كل ما تقدم ، يتضح أن وجود الحصانة الدبلوماسية الكاملة قد أتاح الفرصة لبعض المحصنين أن يستغلوها أسوأ استغلال فى أعمال غير مشروعة . بل ، والأكثر من ذلك ، أنها أغرت ـ فى نفس الوقت ـ بعض الشخصيات أن تسعى إلى الانضمام تحت مظلتها ، لما توفره لأصحابها من حرية كاملة ، فى ارتكاب ما يدور فى أذهانهم من جرائم ، وذلك كما حدث فى حالة ثومبثن وأصحابه حين دبّروا للسطو على آثار البئر المقدس ، وكما ادعت بعثة الملاحظين الكوريين تمتع أفرادها بالحصانة الدبلوماسية الكاملة ، حتى ينجو أحدهم من العقاب ، على الرغم من عدم صحة ذلك .

ولا يعنى هذا أن غياب الحصانة الدبلوماسية ـ بمعنى معاملة الدبلوماسى والرجل العادى على السواء ـ هو الحل لهذه المشاكل ، بل على العكس ، قد يتسبب هذا فى مشاكل أخرى ؛ فليس من المعقول أن يتم فحص الحقيبة الدبلوماسية ، بما تحويه من وثائق هامة وأسرار دولية ، كغيرها من حقائب المسافرين ! ، أو أن تتخلف شخصية دبلوماسية هامة عن حضور مؤتمر دولى ، بسبب عدم توافر مكان مناسب يسمح لسيارته بالانتظار !.

فوجود الحصانة الدبلوماسية هو أمر ضرورى للغاية ، ولكن ، وفى ضوء ما سبق ، ليس من المعقول أيضاً أن نسمح لأحد أن يقتل ، أو يغتصب ، أو يسرق ، ثم يمضى دون عقاب !

لذلك ، أعتقد أنه من الضرورى ، ومن العدل أيضاً ، أن يكون توافر

الحصانة الدبلوماسية منطبقاً فحسب على المهام الرسمية أثناء مهمة الدبلوماسى ، وألّا يخرج عن هذا النطاق . أمّا بالنسبة لمشكلة الحقيبة الدبلوماسية ، بما قد تحمله من أشياء مهربة ، فأُعتقد أنه من اللازم ، لتجنب هذه المشكلة ، فى معظم الحالات ، أن تفحص الحقيبة بالأشعة ، ولن يأخذ هذا الاختبار البسيط سوى لحظات ، مع ضرورة تحديد وزن أقصى وشكل (أو أشكال) معينة للحقيبة حتى لا يستغل البعض هذه النقطة أيضاً بطريقة سيئة ، كما حدث فى حالة الدبلوماسيين السوفييت .

لذلك ، أعتقد أنّ العالم فى حاجة إلى « معاهدة فيينا جديدة » تتفق فيها دُوَلُه المختلفة على ما تراه مناسباً من قوانين جديدة ، بحيث تمنع عن أراضيها أى جريمة قد تحدث باسم الحصانة الدبلوماسية .

وفى حالة رفض بعض الدول للموافقة على ما أجمع عليه الآخرون ، فلن يكون من حق هذه الدول بعد ذلك المطالبة بأى شىء إذا ما وقعت أى جريمة دبلوماسية على أرضهم ، أو إذا تورّط أحد من دبلوماسييها فى عمل غير شرعى على أرض أى دولة من الدول الموافقة بالإجماع ..



المراجع والصّور

- DIPLOMATIC CRIME — ASHMAN & TRESCOTT
- NEWS WEEK. TIME. PEOPLE
- THE NEW DIPLOMATS — ABBA EBAN
- DIPLOMAT — ERIC CLARK

مكتبة ابن سينا

تقدم

دكتور أيمن أبو الروس

التيتانك

سفينة الغرائب والعجائب

- القصة الواقعية الدامية لغرق السفينة الأسطورة والتي كان على متنها صفوة أثرياء العالم .
- كيف تم العثور عليها بعد ٧٣ سنة من اختفائها ؟

مكتبة ابن سينا

تقدم

دكتور أيمن أبو الروس

مثلث برمودا مثلث الرعب والكوارث

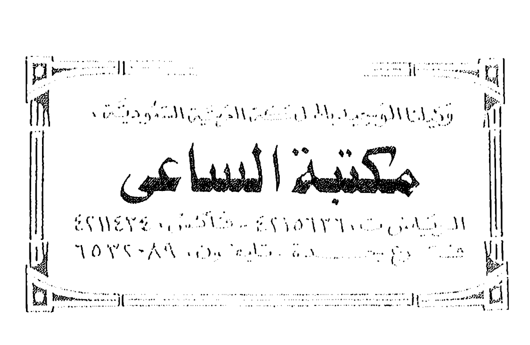
اللغز المحير لاختفاء العديد من السفن والطائرات

الفهـرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع — ٦٣٣٢ — ١٩٩٠


وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية
مكتبة الساعي
الرياض: ت: ٤٢١٥٦١٣٦ - فاكس: ٤٢١١٤٣٤
فرع جدة: تليفون: ٦٥٣٢٠٨٩